الروايات التاريخية في كتابات الرحالة المسلمين في العصر العباسي بين الأسطورة والحقيقة (دراسة تحليلية)

أ.م.د. نوفل محمد نوري
كلية التربية/ قسم التاريخ/ جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١١/٣/٢٣ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١١/٥/١٥

ملخص البحث:

حاول البحث تقديم رؤية تتعلق بأثر المرويات التاريخية في التكوين الثقافي للرحالة المسلمين وانعكاسها على رواياتهم اوفي طريقة توصيفهم لمشاهداتهم وما يروى من حكايات على مسامعهم .

عالج الباحث تلك الرؤية من خلال الوقوف على مدونات تعد احدى مصادر المعرفة التاريخية ،محاولا رصد ما هو مقبول تاريخيا، واخر ما عد اسطورة في مرويات الرحالة للمكان الذي يحاول تصويره ،اذ غالبا ما سيقت تلك الحكايات -دون تمحيص -بشكل اوبأخر الى الثقافة الاسلامية وتم أعتمادها من قبل العديد من المؤرخين بوصفها حقائق تاريخية ،في وقت اشبعت تلك الروايات جانبا من خيال الرحالة ، لاسباب تتعلق بأظهاره العجائب من الاخبار،والفريد من الظواهر ، والغريب من القصص والتي انفرد الرحالة في مشاهدتها او الوصول اليها دون سواه، اوفي سماع الغريب من الاخبار عند مروره بالبلاد، يكون الغرض منها تشويق السامع على حساب الدقة والحقيقة التاريخية احيانا، وحاول البحث الوقوف على ثلاثة مستويات لروايات الرحالة ، المستوى الاول كان فيها الرحالة قد اسقط في رحلته كل ماسمعه من قصص واخبار وتصوير ظواهر عن البلاد التي مر بها والتي قصها عليه كبار القوم ،اوما عد جزءا من ثقافة المكان ،ولم يحاول الرحالة ان ينقدها او يفند بعضها ، بل اكتفى بسردها ،والمستوى الثاني حاول الرحالة ادراج ما اعتبر تاريخا حقيقيا مع ماهو اسطورة لايقبله العقل او المنطق ،والغاية منها اكمال الصورة التاريخية للحدث ،اما المستوى الثالث من تلك الروايات فقد تميز بالدقة في التوصيف والامانة في نقل الخبر والمشاهدة والتحري للحدث قبل تدوينه، اذ كان لثقافة الرحالة ودرجة وعيه ومدى قبوله للاساطير من عدم قبولها اثرا في انسياب تلك الروايات الى رحلته.

الا ان ذلك الامر لايعني الاستغناء عن هذا النمط من المؤلفات ،اذ ان الرحلة وبمختلف مستوياتها تبقى رافدا مهما للمعرفة التاريخية شرط ان تمحص نصوصها وفق منهج البحث التاريخي الرصين لما فيها من معلومات تاريخية قيمة والتي لا نجد الكثير منها في انماط اخرى من المصنفات التاريخية .

Historeal Novels In The Writing Of Muslims Voryagers In Abbassid Era Between Myth And Really *(Analytical Study)*

Asst. Prof. Dr. Nawfal Mohammed Nouri
University of Mosul/ College of Education/ History Dept

Abstract:

The research attempts to introduce an insight into the effect of the historical account, on the cultural formation of the Muslims travelers and their

reflection on their account or upon the way of discrepancy what they he saw and beard.

It handle, this subject through discussing some recording, which are regarded as one of the sources of historical knowledge, thereby attempting to show what is historically acceptable. These stone, entered the Islamic culture without close examination which some historians adopted as historical facts. Meanwhile, they were characterized by the travelers imagination for reasons related to present mirculas news and sense. The research also deals with three level, of the travelers accounts. The first level handle, the news head by the travelers without criticizing or refuting them. The second level presents how the travelers tried to insert what is considered real history beside what is a myth. The third level, on the other hand, is characterized by precision when reporting the new, and investigation into the event.

However, this does not mean dispensing with this kind of composition, because travel remains an important source of historical knowledge on the condition that its test are closely examined according to the authentic historical investigation.

تمهيد

شكلت الرحلة عنصرا هاما من عناصر البناء الثقافي للحضارة العربية الاسلامية لـدورها المهـم فـي ايصال المعارف التي يتحقق من خلالها الاحتكاك الحضاري بين الامم ، كما اسهم التنويع في مهمات الرحلـة في اثراء المعرفة الوصفية منها والجغرافية منذ نهاية القرن الثالث الهجري وحتى القرن السـابع للهجـرة ، وكانت الحاجة إلى معرفة المسالك والخطـط بين البلاد الإسلامية ذاتها وبينها وبين البـلاد المجـاورة لهـا والبعيـدة عنها سبباً آخر للرحلة ، فضـلاً عن الدوافع الدينية للرحلة كالحج ، كما أن الرحلة فـي طلـب العلم كانت سبباً آخر لها [١]، فضلاً عن الدوافع التجارية ، والاستكشافية،أو تلك الرسمية التي يكلف أصحابها من قبل الخلافة [٢]. إلاّ أن مختلف تلك الرحلات لم تكن تخلو موضوعاتها وطرائق وصفها للاحداث بشـكل اوبآخر من مبالغات أواعمال للخيال في رسمها للظواهر لدى الرحالة على وفق ثقافته وتحليله لمـا يشـاهده، اوفي تفسيره للسلوكيات التي رأها او سمعها في رحلته من أناس مرَّ ببلادهم ، واذا ما كانت الأسطورة هي الأخرى قد تناقلتها الشعوب من خلال ادبياتها والتي وجـدت في ثقافة الرحالة مدخلا اختلفت اشكالها بحسـب المستوى والبيئة الثقافية بين رحالة وأخر ،والتي طغى على اغلبها الرموز والاشارات التي لاتكاد تخلو مـن حقائق تاريخية غير واضحة في تأويلها، إلاّ أنها نسبيةً ولا يعول عليها في وصف حقيقة تلك الظواهر ، سوى أنها أسهمت في تفسير سلوكيات وطقوس النـاس من خلال معتقداتهم وتصوراتهم لطبيعة القوى المؤثرة فـي نفوسهم ونظرتهم للحياة ولا سيما الشعوب التي لـم تصلها الرسالات السماوية كالإسلام ، إلاّ أن من الغرابـة بمكان أن نجـد تلك القصص والحكايات ومع ما يشوبها من اساطير تسللـت إلى الثقافـة الاسـلامية عبـر قنوات عديدة كانت احداها كتابات الرحالة والجغرافيين، تجسد ذلك من خلال تصـوير مشـاهداتهم احيانـا اوسماعهـم لها حتى باتت وكأنها جزء من ثقافتهم التي ينتمون اليها دون تمحيص للجوانب التي لا تتفق مع منطـق الفطرة ونداء الديـن اوالعقل بقدر اهتمامهـم بأذكاء القصـص التي تتضمن عنصري التشويـق والمفاجـأة والذي بات هاجساً لدى العديد منهم في تصويرهم لتلك المشاهد لتكون لرحلاتهم قيمة ومآثر تذكر

---

[١] حسين، محمد فهيم ، أدب الرحلات ، (الكويت ، المجلس الوطني للثقافـة والفنـون، عـالم المعرفـة : ١٩٨٩)، ص ١٣؛ زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في القرون الوسطى، (مصر: ١٩٤٥)، ص٧.

[٢] نقولا زيادة ، الجغرافيون والرحلات عند العرب ، (بيروت ، دار صادر : ١٩٦٢) ، ص ٤٣ .

ولاسيما اذا ماكان الرحالة اوصاحب الكتاب نديما للخليفة او السلطان او اذا ما كانت بتكليف مباشر من الخلافة ، والتي غالبا ماينفق الخليفة على رحلاتهم اموالا طائلة فلا يستطيع الرحالة العودة صفر اليدين دون انجاز ماكلف به في الوصول الى اقصى مكان ارسله اليه ، لذلك نجده وهو ينقل مشاهداته يحاول أن يعظم صغائر الأشياء أحياناً ويسترسل في وصف مظاهر، ويعمم تقييمه لثقافة هذه البلاد أو تلك من خلال مروره بها ومكوثه فيها يومين أو ثلاثة ،إذلا يمكن تقييم ثقافةأي مجتمع اورسم شكل التقاليد والعادات الخاصة بهم بالبقاء بينهم أياماًمعدودة أو الاستماع إلى قصص وحكايات كبار القوم ،وهذه إحدى المأخذ على روايات الرحالة التي فيما بعد اسهمت فيما بعد بشكل سلبي من خلال اعتمادها مصدرا تاريخيا دون تمحيص وتدقيق لصحة نصوصها،والتي يجب مقارنتها بالنصوص التاريخية المعتمدة ، كما نجد صيغة التعميم لدى هذا الرحالة أو ذاك في وصف سلوك أهل مدينة أو الكورة او القصبة في وقت لا يتعدىان يكون هذا المظهر حدثا عارضاً، حصل حين مرّ الرحالة بالمدينة، إلاّ أن ذلك الحكم في المقابل لا يمكن تعميمه على كل مشاهدات الرحالة ، إذ أن في العديد من صور وصفهم للحياة السياسية أوالاجتماعية أو الاقتصادية لبلد ما تمتلك توثيقا ودقة لا نكاد نجدهما في كتب التواريخ العامة اوالمحلية منها ، وتبقى جملة مؤثرات لها علاقة مباشرة بحياة الرحالة ونشأته العلمية وثقافته واعداده المسبق، لها الدور المهم في طريقة تناوله لهذه الحكاية ووصفه وتحليله لها ، اوفي ومدى اعمال خياله من عدمه في نقل مشاهداته أو ما سمعه عند مروره بهذه البلاد.

و قبل الوقوف على النصوص التاريخية التي وردت لدى الرحالة والتي اختلط بها الواقع التاريخي مع الموروث الثقافي للبلاد مع وجود الاسطورة من جهة ، او الحكاية الشعبية من جهة اخرى ،لا بد من تعريف الاسطورة واهميتها في ثقافة الشعوب،والوقوف على مفهوم الحكايات الشعبية التي هي الاخرى كان لها بصمة في كتابات الرحالة وان اختلف مفهومها عن مفهوم الاسطورة الا ان في كتب الرحلة تختلط معها اوتاتي بوصفها حلقة ثالثة بين الواقع التاريخي والاسطوري .

مفهوم الأسطورة عند القدامى والمحدثين

الاسطورة لغة هي أُحْدُوثَةٌ وأَحاديث وسَطَرَ يسْطُرُ إذا كتب ، كما جاء في تعريف الاساطيرعلى انها: الأَباطِيلُ والأَساطِيرُ أَحاديثُ لا نظام لها واحدتها إِسْطارٌ وإِسْطارَةٌ بالكسر[1] ، ويرى الباحثون ان التفكير الأسطوري ما هو الا تصور غير علمي خلافاً لما يعتقده علماء الميثولوجيا الذين اعطوا للاسطورة دورا مهما في تفسير حركة التاريخ -كونه تفكير غير قادر على الاستقصاء والتجربة أو الترابط بين سلسلة العلل والمعلولات ، بل هو تفكير ذو طبيعة تدخل فيها الخوارق ويؤمن بالتأثير المتبادل بين الظواهر عن طريق التشاكل والتشابه والتداعي[2]، ولا سيما عندما أَوَّلَ الانسان قضية الخلق ، ومسألة الصراع بين الخير والشر، والعلاقة بين قوى الطبيعة العليا وأثرهما في الانسان [3] ، وطالما أن الانسان بطبعه يخشى ما يجهله أو ما لا يستطيع اخضاعه لسلطانه فيظل أسيراً للطبيعة من تضاريس ومناخ وما يصاحب ذلك من عوارض مما

---

[1] ابن منظور ،محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب،(بيروت ، دار صادر : د.ت) :٣٦٣/٤.

[2] راثفين . ك . ن ، الأسطورة ، ترجمة : صادق الخليلي ، (بيروت ، منشورات عويدات :١٩٩٠) ، ص ٧٦ .

[3] أحمد كمال، زكي ، الأساطير ــ دراسة حضارية مقارنة، (بيروت ، دار العودة :١٩٧٤) ، ص ١٢.

ينشئ بينه وبينها علاقة وجدانية ، فنجده يتذلل لمظاهرها احيانا ويتضرع إليها ويخشى غضبها ، وهذه العلاقة لا يمكن أن تفسر على اساس كونها اسقاطا ورغبة في اتحاد الانسان بالطبيعة واندماجه فيها [١] .

لقد وجد الفكر الأسطوري متنفساً في الآداب الملحمية القديمة ، إذ لا نكاد نجد ملحمة من ملاحم الشرق والغرب إلاّ ووجدنا فيها خضوع الإنسان لقوى الطبيعة ،وكذلك الحال فيما يخص الحكاية الشعبية ، إذ شغلت الأخيلة جانباً كبيرامن أدب الرحلات عند المسلمين وعند غيرهم [٢] ، وهي غالباً ما تعتمد على مدى سعة فضاء ذهن الرحالة ، وغالباً ما تأتي تصوراته بعد تصديقه لما سمعه من قصص وحكايات شعبية فيحاول بعدها فك رموز تلك القصص ويبني عليها ويعلل الظواهر من خلالها والتي تاتي أحياناً من خلال موروثه الثقافي والبيئي ، كي يصيغها بالنهاية بطريقة جديدة قد تتلائم مع قناعاته التي تشكلت بعد سماعه هذه القصة اوتلك ، وبذلك يسهل اختراقها في محيطه الثقافي.والحكاية الشعبية هي بقايا المعتقدات الشعبية وتأملات الانسان الحسية وطريقة في النظرة الى الحياة، حينما كان الانسان يحلم لانه لم يعرف ، وحينما كان يتصور لانه لم يكن يرى حقائق الاشياء، وحينما كان يؤثر فيمن حوله بروح ساذجة ، كما اعتقد البعض ان الحكاية الشعبية هي شكل من اشكال التعبير عن الروح الانسانية بمستويات مختلفة [٣] .

روايات تاريخية لدى الرحالة غلب عليها الاساطير

لاشك في ان منهج الكتابة عند الرحالة يختلف عن اسلوب الصناعة التاريخية عند المؤرخ اذ لايتقيد الرحالة بطريقة المؤرخين في عرض الحوادث ولايعتمد الاسلوب الزمني على غرار الحوليات، ولايجد البعض منهم نفسه ملزما بالتدقيق بسلاسل اسناد رواياته سوى اعتقاده ان ماسمعه يكفي احيانا كي يدون في رحلته ،وهذا الامر لاينطبق على كل الرحلات فمنذ نهاية القرن الثالث للهجرة وبدايات القرن الرابع بدأت رحلات تجارية احيانا واستكشافية احيانا اخرى ، ولا سيما تلك التي توجهت الى اقصى الشرق في بلاد الهند والصين ،اوتلك المتوجهة شمالا الى بلاد البلغار، اوالى جزر البحر المتوسط ،ومنها وهو النادر ما كان متوجها الى واوربا شمالا ،قام بها على الاغلب رحالة اندلسيون ومغاربة بحكم الاحتكاك الجغرافي معها ، وإذا ما كان العديد من التجار العرب المسلمين لم يحاولوا تدوين سفراتهم التجارية ومشاهداتهم لتلك البلاد ،اما بحكم تاكيدهم على الوازع المالي والكسبي الذي كان سببا في رحلاتهم ، اذ جاء الحديث عن رحلاتهم في سياقات مختلفة ، اما وردت بصيغة رسائل دونوها ،او نقلت شفاها جيلا عن جيل لتدون لدى المتأخرين منهم ،أو جاءت في اثناء كتب المسالك والممالك ، كتلك التي وردت في كتابات ابن خرداذبة وابن حوقل الجغرافية وغيرهما للوقوف على طبيعة صياغة تصورات الكتاب من الرحالة لطبيعة الحياة في البلاد التي ذكرت في مدوناتهم ، إذ يروي ابن خرداذبة (ت:٢٨٠هـ/٨٩٣م) ، في كتابه المسالك والممالك حكايات عجيبة عن مخلوقات غريبة لم نسمع عنها الا في الاساطير ،ومنها ما ساقه من خبر عن وجود افاع في جبال تدعى جبال الزابج، يصعب وصف حجمها وشدة قوتها وهي كما يصفها حيّات عظام تستطيع بلع الرجل والجاموس، ومنها ما يبتلع الفيل كما يروي ، كما يصف شجرة كافور كبيرة كانت في تلك الجبال ذاتها وهي عظيمة جدا وانها تستطيع ان تظلّ مائة إنسان وأكثر ، كما يصف الكافور في هذه الشجرة الذي ينقب عليه من أعلى

---

[١] قيس النوري ، الأساطير وعلم الأجناس ، (الموصل ، مطبعة الجامعة : ١٩٨٠) ، ص ١٧ .

[٢] دي لاسي ، أوليري ، الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، نقله إلى العربية : اسماعيل البيطار ، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني : ١٩٧٢) ، ص ٤٣ .

[٣] دي لاسي ، أوليري ، المرجع نفسه، ص ٥٨ .

الشجرة فيسيل منها من ماء الكافور عدة جرار، ثم ينقر أسفل من ذلك وسط الشجرة فينساب منها قطع الكافور وهو صمغ ذلك الشجر ،وفي هذه الجزيرة عجائب كثيرة لا تحصى [١].ولا نجده يحاول التدقيق في صحة تلك الروايات من ضعفها سوى اعتماده على ما يتناقله الناس من حديث سمر اوما سمعه عند مكوثه هنا اوهناك ،وفي سياق حديثه عن عجائب الدنيا ،يذكر انها اربع عجائب ، احداها في الاسكندرية بمصر، والاخرى في ارض عاد، والثالثة في الاندلس ،والرابعة في ارض بيزنطة بقوله :عجائب الدنيا أربع، ممرات كانت معلقة بمنارة الإسكندريّة كان يجلس الرجل تحتها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر.وفرس من نحاس كان بأرض الأندلس قائلاً بكفيه كذا باسطاً يده أي ليس خلفي مسلك فلا يطأ تلك الأرض أحد إلا ابتلعته النمل.ومنارة من نحاس عليها راكب من نحاس بأرض عاد فإذا كانت الأشهر الحرم هطل منها الماء فشرب الناس وسقوا وصبّوا في الحياض فإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء.وشجرة من نحاس عليها سودانية من نحاس بأرض رومية، فإذا كان أوان الزيتون صفرت السودانية التي من نحاس فتجيء كل سودانية من الطيّارات بثلاث زيتونات زيتونتين برجليها وزيتونة بمنقارها حتى تلقيها على تلك السودانية النحاس فيعصر أهل رومية ما يكفيهم لآدامهم وسرجهم سنتهم إلى قابل [٢].

وفضلا عن اعتماد المؤلف على رحالة مجهول الاسم يصف تلك المواقف اذ لم اقف له على ترجمة توضح شخصية هذا الرحالة الذي ينقل عنه واسمه سلام الترجمان والذي يصفه ابن خرداذبه على انه كان يجيد ثلاثين لسانا ،اذ ينقل عنه رحلته والتي بدأت عام ٢٢٧ هـ / ٨٤٢ م في اولى تلك الرحلات إلى بلاد الصين [٣] ، حين خرج بأمر الخليفة الواثق بالله (ت:٢٣٢هـ/٨٤٧م)، اثر منام رآه الخليفة والذي مفاده أن السد الذي بناه الاسكندر (ذو القرنين) ليحول دون تسرب يأجوج ومأجوج إلى ديار المسلمين مفتوحاً،فرأى الخليفة أن يرسل في أمره ويتأكد من ذلك خشية ان تتحقق رؤياه، وقد ندب لهذه المهمة سلاما ومعه خمسون رجلا ومالا كثيرا يعينه في سفره مع من خرج معه ، [٤] ، وقد وصل سلام هذا بعد رحلة طويلة إلى الصين ليروي مشاهدته السد الذي بناه ذو القرنين [٥] ، فيذكر من خلال رحلته عددا من الأماكن التي شاهدها في طريقه حتى وصوله السد ، ثم يتحدث عن السد فيصف بابه ، والحراس الذين يحفظونه[٦] . ثم يورد سلام الترجمان قصة حول سؤال أهل تلك البلاد هل رأوا يأجوج ومأجوج ، اذ قال " ان اهل المكان الذي فيه السد رأو عددا منهم ، وان طول الواحد منهم شبرا ونصف الشبر [٧] .

ولم تثبت صحة نقولات ابن خرداذبة تلك في ما نقله عما سمعه اوشاهده سلام من قبل رحالة اوجغرافيين آخرين سوى اعتماده حكايات شعبية لأهل تلك الأماكن، الا ان خطورة روايات كهذه تكمن في انها انسابت الى اقلام مؤرخين مرموقين لم يجدوا رواية بديلة عنها ،وقد نقل رواية سلام الترجمان عن ابن

---

[١] أبو القاسم ، عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة ، المسالك والممالك ، (ليدن : ١٣٠٦ هـ) ، ص ١٦ .

[٢] ابن خرداذبة ، نفسه ، ص ٢٧ .

[٣] ابن خرداذبة ، نفسه ، ص ١٩٣ .

[٤] ابن خرداذبة ، نفسه ، ص ١٦٤ .

[٥] ابن خرداذبة ، نفسه ، ص ١٦٥ .

[٦] ابن خرداذبة ، ص ١٦٧ .

[٧] ابن خرداذبة ، ص ١٦٨ .

خرداذبة كل من ابن الجوزي وياقوت الحموي وابن الوردي والحميري وغيرهم [١]، اما ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ/١٢٠١م) فقد بدا مترسلا في نقل القصة دون تعليق وهو يتحدث عن رحلة الاسكندر الكبير اذ استعان ابن الجوزي بنصوص وردت في الاحاديث الشريفة عن علامات ظهور يأجوج ومأجوج ثم قام بربطها بخبر مشاهدات وسماع سلام الترجمان [٢].في الوقت الذي بدا ياقوت الحموي وهو ينقل لنا رحلة سلام الترجمان عن ابن خرداذبة انه غير مصدق للقصة فيقول بعد حديثه عن السد وقصة سلام (قد كتبت من خبر السد ما وجدته في الكتب ولست اقطع بصحة ما اوردته لاختلاف الروايات فيه والله اعلم بصحته) [٣] ، اما ابن بطوطة فينكر ان احدا قد راى السد اوسمع من احد قد راه بقوله(ولم ار بتلك البلاد من رأى السد ،ولا من رأى من رأه)[٤]

ولو عدنا الى سيرة ابن خرداذبة محاولين معرفة اثر الاعداد المسبق لصاحب الرحلة على وصفه والتي طغى عليها اسلوب التشويق وتهويل المواقف التي ادعى انه شاهدها اوسمعها ،لنجد ان طبيعة عمله بوصفه من سمار الخليفة المعتمد على الله (ت:٢٧٩هـ/٨٩٢م) اسهم في تلك المبالغت التي رافقت تلك الحكايات ، وغالبا ما يكون جانبا من عمل السمار للخلفاء هو في البحث عن النوادر من الاخبار العجيبة والطرائف من القصص الغريبة كي يقصها على الخليفة والتي يكون فيها عنصرا التشويق والاثارة واضحا من اجل اسعاده او التخفيف عنه ،غير مكترث كثيرا بصحة نقولاته، واذا ما علمنا ان ابن خرداذبة كان قد الف كتبا في الشراب والملاهي لعلمنا مدى عدم دقة الرجل في النقل فضلا عن كونه غير متخصص في الرحلات ولم يكن رحالة في يوم من الايام ايضا ، فضلا عن ان من ترجم له يصفه على (إنه كثير التخليط، قليل التحصيل) [٥].لذا من المهم قبل الاخذ عن الرحالة رواياتهم العودة الى سيرهم الذاتية التي تسهم بدور كبير في تحديد ملامح شخصياتهم .

روايات تاريخية لدى رحالة جمعت بين الحقيقة والاسطورة

وثمة رحلات اخرى كانت اكثر توخيا للحقيقة نسبيا مما سبق اذ تباين منهجها في تدوين رحلاتها في مدى اعتمادها معلومات دقيقة وعلمية من جهة وقبولها في الوقت ذاته ماهو اسطوري اوخيالي من جهة ثانية على الرغم من تأكيدها في مقدمات كتبها تحريها الحقيقة من مصادرها الاصلية ، إذ ان اعمال الخيال بدا

---

[١] ينظر عمر بن منصور بن محمد، ابن الوردي ، العجائب وفريدة الغرائب ،(بيروت ، داراحياء التراث العربي: ١٩٧٨) :٤٢/١؛ محمد بن عبد المنعم ، الحميري، الروض المعطارفي خبر الاقطار ،تحقيق احسان عباس (بيروت ، مؤسسة ناصر للثقافة : ١٩٨٠):٣١٠/١.

[٢] عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ابن الجوزي، المنتظم: في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق محمد مصطفى عبد القادر عطا ،(بيروت ، دار الكتب العلمية :١٩٩٢):٢٩٧/١،٢٩٤.

[٣] شهاب الدين ابي عبد الله ، ياقوت الحموي، معجم البلدان،(بيروت داراحياء التراث العربي:د.ت):٣٠/٥.

[٤] محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي، ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار المسماة برحلة ابن بطوطة، تحقيق علي المنتصر الكتاني (بيروت ، مؤسسة الرسالة :١٤٠٥هه):٧٢٤/٢.

[٥] صلاح الدين بن ايبك ، الصفدي، الوافي بالوفيات ، تحقيق،سن دريد رينغ ، بيروت ،دار احياء التراث العربي:١٩٩٧):٣٠١/٦؛ الزركلي، خير الدين ،الاعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين(بيروت،دار العلم للملايين:١٩٧٩) :١٩٠/٤.

واضحا عند عدد منهم مع وجود ثوابت وحقائق تداخلت معها لتجمع بين ما هو غث وسمين ، كما هو الحال مع رحالة كابن فضلان [١]و المقدسي ، ومسعر بن المهلهل [٢].

ففي رحلة ابن فضلان إلى ملك الصقالبة عام (٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) والتي جاءت بتكليف من الخليفة العباسي المقتدر بالله(ت:٣٢٠هـ/٩٣٢م) ،بعد ان ارسل ملك الصقالبة للخليفة كتابا يطلب منه ان يرسل له من يفقهه بالاسلام وهو حديث عهد به ويسانده ضد اعدائه ، فأختير احمد بن فضلان على راس الوفد الذي ضم الفقهاء والعلماء والمعلمين لهذه المهمة ، وكان ابن فضلان في أول امره من موالي محمد بن سليمان الحنفي والي مصر ، ثم أصبح من موالي الخليفة المقتدر العباسي ولانعلم عن اسماء شيوخه اوتلاميذه[٣]. ولم يعلم لما انتدب دون سواه لهذه المهمة علما ان اسمه لم يذكر لا في كتب الطبقات ولا التراجم الخاصة بالفقهاء او الحفاظ،في وقت لم يعرف عنه انه يجيد لغات ذلك المكان الذي قصده وقد عبر عن ذلك في حديثه عن وجود مترجم للملك ينقل ما يقوله ابن فضلان [٤] وفي اكثرمن مناسبة نجد استدراكات وتعجب ابن فضلان مما راه كا يدور من خلال سؤاله للترجمان الخاص بالملك [٥] ،لقد اتسمت روايات ابن فضلان وهو يصف مشاهداته للحياة الاجتماعية للمدن والقرى التي مر بها وهو في بلاد المسلمين من وصف منطقي ، الا انه ما ان خرج من بلاد المسلمين ونفذ الى بلاد غريبة وبعيدة حتى نجده يطلق العنان لخياله الخصب ويسهب في وصف الظواهر ومنها المناخية على وفق تصورات جاءت متناغمة مع ما رواه شعوب تلك المناطق ولاسيما الصقالبة الذين نقلوا تصوراتهم لتلك الظواهر اليه وهو مستغربا تارة ومصدقا تارة ثانية، ومنها ما نقله وشاهده من احمرار للسماء عند اول نزوله في بلاد البلغار ودهشته الشديدة لما راه من مناظر مخيفة رسمها خياله،ثم يصف دهشته عند سماعه لأصوات تخيل انه سمعها من السحاب ، فإذا هو غيم أحمر يرى فيه أمثال الناس والدواب قد شكلت وهم يقتتلون في كل مساءكماروى له ملك الصقالبة نقلاعن حكايات اجداده [٦].

وليست تلك القصص الا تخيلات وأوهام تراءت له فحسبها حقيقة ، بل كانت ظواهر طبيعية تتعلق بطبيعة المناخ هناك وتداخل الغيوم ببعضها والتي لم يسبق له ان شاهدها بتلك الكثافة في بلاده ، ،الا انه فسّرها تفسيراً خرافياً تحدث فيها عن اشكال وصور تراءت له في هيئات مختلفة نقلها من أساطير قديمة يعتقدها اهل تلك البلاد ، ومن الغريب أن ابن فضلان خرج إلى بلاد البلغار بايفاد من الخلافة ومعه وفد من الفقهاء والمعلمين والذي لم نجد ذكرا لرأيهم لهذه الظاهرة وكأنه صدقها وحده اواعتقد بها [٧] وقد يندهش المرء وهو يقرا رحلته والمهمة التي كلف بها وهي دعوة امم تلك البلاد الى الاسلام ليحررها من معتقداتها

---

(١) أحمد بن فضلان ،رسالة ابن فضلان ، تحقيق : سامي الدهان ، (دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي :١٩٥٩) ، ص ٣ ؛ أبو القاسم بن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ، (بيروت ، مكتبة دار الحياة : ١٩٧٩) ، ص ٥ .

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر ، المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، (ليدن ، مطبعة بريل : ١٩٠٩) ، ص ٤ .

(٣) الزركلي ، المرجع السابق :١٩٥/١.

(٤) ابن فضلان ، المصدر السابق، ص٦٨.

(٥) ابن فضلان ، المصدر نفسه، ص٦٨.

(٦) ابن فضلان ، المصدر نفسه، ص ١٢٣ .

(٧) ابن فضلان ، المصدر نفسه ،ص ٦٧ .

الخاطئة فاذا به يؤمن بخرافاتهم وما ينقل عن اساطيرهم وكانه نسي ما جاء من اجله ، كما يروي قصصا اخرى في امكنة اخرى قصدها وهو في طريقه، والتي تتلاحم فيها عناصر الخيال والاسطورة معا بعد ان سمع تلك الحكايات من كبار القوم من سكان الاماكن التي مر بها وهي عكست طبيعة معتقداتهم وتصوراتهم نسجتها تخيلات واهواء اناس لم يصلها االمسلمون و الفاتحون الاوائل [١] ان عدم جود ذكرا لابن فضلان في كتب الطبقات او التراجم الخاصة بالفقهاء زاد من ترجيح كونه لم يكن فقيها اوعالما اوداعية ، بل كان يمتلك مؤهلات ثقافية عامة للمسلم في موطنه كما بدا من حديثه .

وإذا ماتأملنا في رحلة المقدسي (ت:٣٨٠هـ/٩٩٠م) الذي خرج تاجراً إلى جزيرة العرب ، ثم قصد بلاد فارس ثم العراق والشام مرورا بمصر فالمغرب [٢] وعلى الرغم من اعتماد مروياته في الرحلة من قبل العديد من الرحالة الذين اتو من بعده ،فضلا عن وصفه لمنهجه في تدوين الرحلة وهو يتحرى الدقة في نقل الخبر والتي وردت الاشارة اليها في مقدمة كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم وجدناه اكد تحريه الحقيقة بمختلف الوسائل ومنها قوله (وما استعنت به على بيانه سؤال ذوي العقول من الناس، ومن لم أعرفهم بالغفلة والالتباس عن الكور والأعمال في الأطراف التي بعدت عنها، ولم يتقدر لي الوصول إليها. فما وقع عليه اتفاقهم أثبته، وما اختلفوا فيه نبذته. وما لم يكن لي بد من الوصول إليه والوقوف عليه قصدته. وما لم يقر في قلبي ولم يقبله عقلي أسندته إلى الذي ذكره أو قلت زعموا. وشحنته بفصول وجدتها في خزائن الملوك) [٣].الا اننا وجدنا في مصنفه اكثر من رواية تناولها وهي لاتتفق في العديد من مفاصلها مع الثوابت التاريخية او العقلية ، وعلى الرغم من ذلك لانجده يعلق اويشكك بها،و منها ما يرويه من روايات خيالية عن حادثة كانت في نواحي جرجان اذ يذكر ان فيها بئرا يرى فيه عجائب ومما جاء فيه (نواحي جرجان بئر تظهر فيه شجرة كل سنة ثم تغيب وقد احتال بعض السلاطين وشدها بالسلاسل الغليظة ففكتها وكسرتها وغابت)[٤].كما نجده وفي اماكن اخرى يصور لنا الظواهر كما يسمعها من المكان الذي يمكث فيه دون تمحيص اورفض لتلك الاخبار ، وهكذا نجد ان الرحالة التاجر احيانا يختلف في درجة قبوله لتفسير الظواهر من رفضها ،عن الرحالة العالم او طالب العلم او الجغرافي المتخصص، لتبقى مسألة التباين المعرفي لدى الرحالة اساسا في كثير من الاحيان في تحديد طبيعة قبولهم وتحليلهم لكل ما يشاهدونه او ما ينقلونه،

ونجد عند الرحالة مسعر بن مهلهل (ت:٣٩٠هـ / ١٠٠٠م) شكلا مشابها لهذا النمط من الرحلات من حيث رواية الخبر في عدم تحريه الدقة وفي احيان اخرى يمتزج لديه ماهو تاريخي مع ماهو خيالي ،ولو عدنا الى سيرة هذا الرحالة فقد نتعرف عاى اسباب ضعف الدقة في الرواية التاريخية لديه ، اذ عرف انه كان شاعرا وأديباً [٥] ،وللشعراء احيانا خيال خصب واسلوب مشوق في الطرح ، رحل وطاف في بلاد فارس وأذربيجان ، الا ان ما وصلنا من رحلاته هو ما نقله ياقوت الحموي،اذ لم نقف على مؤلف باسمه [٦] ، إذ ينقل عنه هذا الرحالة الكثير من العقائد التي يختلط فيها السحر بالخوارق والتي يرفضها ياقوت بعد ذكرها ، ومنها ما روي عنه من قصص وهي كانت بمثابة اساطير سمعها من اهل البلدة التي مر بها ،منها على سبيل

---

[١] ابن فضلان ، المصدر نفسه، ص ١٣٨ .

[٢] المقدسي ،المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

[٣] المقدسي ، المصدر السابق ،ص ١ .

[٤] المقدسي ، ص ١٣٣ .

[٥] الزركلي ، المرجع السابق : ٢١٦/٧ .

[٦] ياقوت الحموي ، المصدرالسابق:٣١٦/٤.

المثال ما ورد في خبر جبل يدعى دُنباوَند وما قيل فيه من اعاجيب اذ اورد ياقوت الحموي نقلا عنه قصصا عديدة في هذا الباب[١] ، وبدا هذا الرحالة مصدقا لما سمعه عن ظواهر عديدة اخرى لاتقل غرابة عن سابقتها في ذلك المكان [٢]. فضلا عما اورده في زيارته لبيت الذهب الموجود في أرض مكران وقندهار ، وهذا البيت كما يروي عنه ابن النديم (مرصع بالجواهر والأحجار الثمينة ، ولا يصل اليه إلاّ العبُّاد) [٣] ، وأنه معلق بين الأرض والسماء دون أن يرتكز على عمد [٤] . ولديه العديد من هذه الروايات والتي يحاول أن يربط بها بين الرموز والأشكال والتكهنات ، وغالباً ما يعتقد بها أو يؤيدها على الرغم من تعارضها مع ثوابت الثقافة التي ينتمي إليها سوى ان يكون القصد منها ذكر الطرائف والغرائب على حساب الحقائق التاريخية [٥] .

ومن الامثلة الاخرى على رحلات اختلط الرواية التاريخية الصحيحة بالخيال او الاسطورة ما جاء في رحلة علي بن أبي بكر بن علي الهروي (عام ٦١١ هـ / ١٢١٥) ذلك الرحالة الذي ولد في الموصل ثم انتقل منها الى حلب حيث نشأ على التصوف ووحب سماع سير الاولياء والصالحين مما شجعه على قصد اماكن مثواهم في رحلة سائحا باحثاً عن الأماكن الدينية والأضرحة والقبور بعد ان انطلق من مدينة حلب متوجها الى بيت المقدس ثم الى مصر وبلاد المغرب ثم توجه منها الى صقلية والقسطنطينية ثم العراق فالحجاز ثم اليمن ثم بلاد فارس [٦] ، إذ كان الهروي مغرماً بالأسفار، وهو من أولئك الرحالة الذين يطلقون العنان لخيالهم وقبولهم مختلف القصص التي يسمعونها او يتخيلونها دون أن يشككوا في صحتها ، وهذا ما بدا واضحا في وصفه لقرية براق [٧]،اذ نسج خياله الكثير من الحكايات الخرافية على أنها كرامة روحية متعجبا، والهروي كما وصفه من ترجم له ومنهم الذهبي بقوله فيه على انه(كان حاطب ليل دخل في السحر والسيمياء ونفق على الظاهر صاحب حلب، فبنى له مدرسة، فدرس بها وخطب بظاهر حلب، وكان غريبا مشعوذا، حلو المجالسة). [٨].فلا عجب ان تكثر مثل تلك الاساطير في رحلته.وصورة اخرى تظهر فيها الاساطير جلية ،برزت من خلال مصنفين اثنين في الجغرافية والرحلات لزكريا بن محمد بن محمود القزويني(ت:٦٨٢هه/١٢٨٣م)،. وهو مؤرخ وجغرافي ، وُلد ونشأ بقزوين، ثم رحل متجها إلى العراق ومنه الى الشام زمن الخليفة العباسي المستعصم بالله[٩]. وترجع شهرة القزويني إلى كتابيه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات والذي قيل فيه (قد ذكر فيه أشياء ياباها طبع الغبي الغافل) [١٠] ،في وقت

---

[١] ياقوت الحموي ، المصدرنفسه:٣١٦/٤.

[٢] ياقوت الحموي ، المصدر نفسه: ٣١٧/٤.

[٣] محمد بن اسحق ، ابن النديم ، (بيروت ، دار الاستقامة : ١٩٦٤) ، ص ٣٤٦ .

[٤] ابن النديم ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٦ .

[٥] ياقوت الحموي ، المصدر السابق : ٤ ، ٤٣ .

[٦] الزركلي، ،المرجع السابق:٢٦٦/٤؛ زكي ، محمد حسن ،المرجع السابق ، ص ٨٩ .

[٧] علي بن أبي بكر بن علي ، الهروي ، الاشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق : جانيني سورديل ، (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية : ١٩٥٣) ، ص ٧ .

[٨] شمس الدين ،محمد بن احمد، الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق،شعيب الارناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي،(بيروت،مؤسسة الرسالة:٢٠٠١) :٥٧/٢٢.

[٩] الزركلي ، المرجع السابق :٤٦/٣.

[١٠] الزركلي ، المرجع نفسه :٤٦/٣.

اقتصر ذكر عند حاجي خليفة على ان المؤلف يشتمل على ماهو غث وسمين [١] ، والكتاب الثاني هو آثار البلاد وأخبار العباد ،وفي هذا الكتاب ، اهتم المؤلف باحوال اهل البلاد التي وردت في كتابه اكثر من اهتمامه بالمسالك والطرق، اذ قُسّم الأرض إلى سبعة أقاليم واصفا ما يحتويه كل إقليم من بلاد ومدن وجبال وجزر وبحيرات وغيرها تبعًا لترتيب حروف المعجم، وقد تأثر القزويني كثيرًا بمعجم ياقوت الحموي وحاول ان يكون لكتابه صدى لكتاب معجم البلدان ، الا انه لم يكن يمتلك منهجية الحموي في التوثيق لكثرة ما حوى كتابيه من قصص واساطير وخوارق من الاخبار بالغ في البحث عنها وتدوينها دون تمحيص،منها وهو يصف اماكن بعيدة وجزر زارها في الهند والصين ، وذكره احوال اهلها التي كادت ان يغلب عليهم الغرائب من الحكايات والعجائب من القصص ،ولاسيما ماذكره عن جزيرة تقع في بحر الصين ، والتي اسماها جزيرة النساء واصفا اياها على انها جزيرة لايوجد فيها سوى النساء ، وان بقاءهم وتكاثر النسل فيهم يتم عن طريق تلقيح الريح او النبات واشار الى ذلك بقوله (في بحر الصين فيها نساء لا رجل معهن أصلاً، وإنهن يلقحن من الريح ويلدن النساء مثلهن، وقيل: إنهن يلقحن من ثمرة شجرة عندهن يأكلن منها فيلقحن ويلدن نساء)[٢].
وما جاء في غرائب الهند فهو كثير ،منها ما اورده عن وجود طائرا كبيرا واصفا اياه (بها طير عظيم الجثة جداً؛ قالوا: إنه في بعض جزائرها إذا مات نصف منقاره يتخذ مركباً يركب الناس فيه في البحر، وعظم ريشه يتخذ آزون الطعام ويسع الواحد منه أحمالاً كثيرة)[٣].وله من ذكر الغرائب الاخرى مالاتحصى ،اذ يروي عن وجود اناس لهم ملامح واجساد البشر ووجوه حيوانات ، واخبار اخرى عن حيوانات بوجوه انسان[٤]، ومن الغرابة بمكان ان القزويني شغل منصب القضاء في واسط زمن الخليفة المستعصم بالله (ت:٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، وهنا كان التعامل مع رحالة له من المؤهلات العلمية التي من المفترض ان تجعله لايقبل مثل تلك الاساطير اوتلك العجائب والغرائب من الحكايات ، وربما كان لميوله وخياله الواسع جزء من تكوينه الذاتي الذي ظل ملازما له ، مما انعكس على ثقافته الخاصة التي سهلت حبه لهذا النوع من الكتابات من خلال البحث عن كل ماهو عجيب اوغريب لا يألفه عقل الانسان، وبتصوراته والتي لاتتوافق في كثير من الاحيان مع البيئة الثقافية والمنطق الذي ينتمي اليه،كما ان عدم وجود ترجمة له لا في كتب التراجم اوالطبقات ولاسيما المتأخرة ربما كان دليل اخر على عدم الوقوف على سيرته من قبل اصحاب هذه المصنفات ،ليقتصر ذكره على كتب الفهارس التي اختصت بذكر المؤلفات واسماء الكتب اكثر من وقوفهاعلى ذكر تفاصيل عن اصحابها .

روايات رحالة اعتمدت الاسطورة لاستكمال الفراغ الزماني في التدوين التاريخي

جاء ذا النمط من الكتابة واضحا من خلال مؤلفات جمعت في منهجها في الكتابة بين منهج التواريخ العامة من جهة وبين كتب مدونات ذات طبيعة جغرافية ومنهج اصحاب الرحلات ،اذ الزم اصحاب هذا النوع من المصنفات وهم يكتبون عن التاريخ ومنذ بداية الخليقة وحتى عصر المؤلف ان يتمموا النقص الحاصل في الفترات التي سبقت عصر التدوين او تلك الفترات الزمنية المتباعدة والتي لايمتلك اصحاب هذا النوع من

---

[١] حاجي خليفة ،مصطفى بن عبد الله،كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون،صححه محمد شرف الدين (بيروت، دار احياء التراث العربي:د:ت):٩/١.

[٢] زكريا بن محمد بن محمود،القزويني، اثار البلاد واخبار العباد،(بيروت ، دار بيروت :١٩٦٠) ،ص١١.

[٣] القزويني،المصدر نفسه ،ص٥٠.

[٤] القزويني،المصدر نفسه ،ص٥١.

المؤلفات نصوصا واضحة وموثقة تتناول الفترة بعد نزول ادم عليه السلام سوى الموروث الشفهي المتناقل او ما عرف بالاسرائيليات التي دونت على لسان عدد من رواتها كوهب بن منبه وكعب الاحبار ،وما شاب تلك الروايات من اساطير امتزجت بها الحكاية الشعبية بالموروث القديم بمعتقدات الامم السابقة واخذت دون تمحيص وتدقيق ،وتعامل معها عدد كبير من كتب التواريخ العامة ويأتي في مقدمتهم كتاب البدء والتاريخ المنسوب لمطهر بن طاهر المقدسي (ت:بعد٣٥٥/٩٦٦م)، والمسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، وعلى الرغم من ما قدمه لنا المسعودي(ت:٣٤٦ هـ/٩٥٧م) وهو ذلك الرحالة والمؤرخ والجغرافي من معلومات تاريخية وجغرافية مهمة فضلا عن ذكره ما اعتمده من مصادر لها من الدقة والصدق الشيء الكثير لانه رحالة ساح في البلاد منذ شبابه اذ زار الهند والبنجاب وسيلان وبحر الصين ثم عاد الى زنجبار ثم الى عمان ومنها الى بغداد موطنه الذي خرج منه، فضلا عن تأكيده في مقدمة كتابه بقوله (ماذكرنا من الاخبار في مبدأ الخليقة هو ماجاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف والباقي عن الماضي فعبرنا عنهم على حسب ما نقل الينا من الفاظهم ووجدناه في كتبهم)[١] ، الا انه وفي عمله في حقلي الجغرافية والتاريخ معا ،حاول وفي العديد من المواقف ومن اجل سد النقص في تسلسل الاحداث احيانا ان يلجا الى اقتباس قصص قيلت اوذكرت عن اناس عاشوا في تلك البقاع ، وغالبا ما تكون غير موثقة محاولة في سد الفراغات التاريخية وهذا امر غير مسوغ،وهكذا نجده لايدقق كثيرا في صدق بعض الحكايات الشعبية اوتلك القصص المقتبسة من رحالة لم يشهد لهم بالتخصص او الصدق فيما ينقلونه في مجال الرحلة او الجغرافية فضلا عن الروايات التاريخية التي نقلت عن الاسرائيليات ، وهذا ما بدا واضحا في العديد من الحالات ومنها ما جاء في تناوله لتاريخ الامم الغابرة او اماكن وجودهم، كما ورد في خبر من خرج مع موسى عليه السلام في التيه ،اوفي تلك الاخبار التي تتعلق بالاسكندر الكبير ،وغيرها من النوادر والملح والغرائب من القصص التي كانت تظهر في اثناء كتابه مروج الذهب [٢]،وعلى الرغم مما قيل فيه كونه اخباريا وعلى دراية بالاحداث، الا ان من ترجم له ذكروا انه يروي الغرائب النوادر من الاخبار ، وفي ذلك يقول الصفدي وغيره انه كان: صاحب غرائب وملح ونوادر من الاخبار[٣]، في الوقت الذي كان ابن خلدون (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٦م) قد رصد العديد من تلك القصص غير الواقعية التي وردت لدى المسعودي وفندها في مقدمته المشهورة ، في وقت شعر ابن خلدون بضرورة وضع معايير وضوابط خاصة للروايات التاريخية الصحيحة والتي يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار في رصد ما هو تاريخي وما هو غير تاريخي وهو يقدم منهجا في كتابة وتوثيق التاريخ [٤] .

روايات تاريخية في رحلات خلت من الاساطير

---

[١] علي بن الحسين بن علي، المسعودي ،مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به يوسف البقاعي (بيروت، دالر احياء التراث العربي:د.ت) :٢٣/١ .

[٢] الصفدي ، المصدر السابق :٣٦٢/٦؛ الذهبي ، المصدر السابق:٥٦٩/١٥.

[٣] الصفدي ، المصدر السابق٣٦٢/٦؛ الذهبي ، المصدر السابق:٥٦٩/١٥.

[٤] عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،(بيروت،دار احياء التراث العربي :د.ت) ص٢٨-٣٤.

تكاد الروايات التاريخية التي وردت في اثناء الرحلات وهي تتحقق من صحة الخبر محصورة في عدد من الرحلات تميز اصحابها بكونهم طلاب علم اوعلماء قصدوا الاطلاع على المعارف في البلاد والحواضر العلمية ، وغالبا ماكان اصحاب هذه الرحلات على درجة عالية من الوعي فيما يكتبون به وتجسد ذلك في كتابات كل من البلاذري ، واليعقوبي ، والاصطخري،فضلا عن البيروني والادريسي، وياقوت الحموي، وابن جبير .

فقد عرف عن اليعقوبي (ت: ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) وهو يتحدث من خلال كتابه " البلدان " ، عدم اكتراثه بقصص واساطير البلاد القديمة او ما يحكى عنها من غرائب بقدر اهتمامه بامور تتعلق بحساب المسافات بينها وبين غيرها من الاماكن، وطبيعة الانشطة الاقتصادية المختلفة، ورسم للاماكن ووصف للطرقات دون زيادة ، اذ عرف عنه جغرافيا ومؤرخا ورحالة في الوقت نفسه ،لذا جاءت اهتماماته موافقة مع تصوراته للتوثيق الخاص برحلاته ، لتكون رحلاته تكاد ان تخلوا من الأساطير ، وهناك رحلات اخرى يمكن ان تدرج ضمن هذا المستوى من الرحلات التي تتحرى الدقة في الوصف او في نقل الخبر قام بها جغرافيون غايتهم معرفة الخطط والمواقع الجغرافية وحدود الأقاليم وطبيعة البلاد المفتوحة لحساب موارد بيت المال ،منها تلك الرحلات التي جاءت بتكليف من قبل ولاة الخلفاء في الامصار ، كما حصل مع احمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت:٢٧٩ هـ / ٨٩٢م) [١]في كتابه فتوح البلدان ،ولو عدنا الى سيرة هذا المؤرخ والجغرافي البارع لوجدنا انه نشأ طالبا للعلم ،ثم قريبا من بلاط الخلفاء ،بعد ان افاد من رحلته في طلب العلم التي اكسبته ثقافة جمة في البلاد الاسلامية ،اذ أخذ كثيرا عن أهل دمشق وحمص ومنبج والرقة والثغور وأنطاكية أخبار فتوحهم وأثبتها في كتابه فتوح البلدان، واعانته تلك المعلومات في التصنيف في هذا المجال المعرفي عندما عمل لدى والي مصر،وقد كان لشيوخه ،وثقافته الخاصة ورحلاته وتردده على قصور الخلفاء أثرا في نتاجه العلمي.فقد افاد بطريق ابن سعد جمع روايات الواقدي في الفتوح.واستفاد من المدائني نفسه في رواياته التي وردت في كتبه الكثيرة في الفتوح واخبار البلدان.وأخذ بطريق حفيد ابن الكلبى ما رواه جده في الانساب.وأخذ عن القاسم بن سلام أمور العشر والخراج.فكان بعد ذلك مؤرخا للبلدان،عالما بحساب الاموال الخراجية واموال بيت المال، كما عرف عنه كونه نسابة، وراوية شاعرا، وقد كانت رحلته هذه وسيلة لاكتسابه ثقافة جديدة أفادته في كتابه فتوح البلدان والذي كان كتابا امتاز بدقة رواياته التاريخية ما يؤكدها كبار المحققين، فضلا عن اعتمادها من قبل اصحاب كتب الاموال ،والفقه ،والتاريخ لمن جاء بعده من اصحاب المؤلفات المعتمدة [٢].وكذلك الحال مع أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأصطخري (ت:٣٤٦هه/٩٥٧م) ذلك العالم والجغرافي والرحالة الذي يشهد له من ترجم له بالدقة والعلم وتحري الروايات[٣] والذي طاف البلاد فلا نجد في كتابه المسالك والممالك ،والذي يتفق من حيث العنوان مع ابن خرداذبة ويختلف من حيث الدقة في التوصيف في ما يتعلق بمعرفة المسافات بين المدن والقصبات دون الدخول في قصص واخبار تلك البلاد التي يمر بها ، ولاسيما ما هو اسطوري او خرافي منها ،وما اخذه عنه ياقوت في الكثير من اخبار البلاد والاماكن التي وردت في معجمه دليل على دقة وصفه لها وتحريه التوثيق للخبر، لابل كان من بين الاكثر حضورا في رواياته عن اخبار البلاد، في وقت كان اعتماده على روايات

---

[١] البلاذري ،المصدر السابق ، ص١٤.

[٢] البلاذري المصدر نفسه ، ص١٥؛ ينظر علي بن محمد بن حبيب،الماوردي ،الاحكام السلطانية والولايات الدينية (بغداد،دار الحرية :١٩٨٩)،ص٧٨ ،١٠٣ ،١٢٧.

[٣] الزركلي، ،المرجع السابق:٦١/١.

رحالة اخرين جاء من خلال انتقاء الصحيح منها اذا ما قورنت بروايات الاصطخري، كما ان الروايات التي يشكك بها ياقوت غالبا مانجد يأتي ذلك متفقا مع تشكيك الاصطخري بها [١] ،وهكذا يختلف تصور الرحالة في وصف الظواهر تبعا للثقافة والمهنة التي يزاولها فتاتي رواياته التاريخية موازية لمؤهلاته العلمية وخصاله .

كما أن هناك من الرحالة من لم يكتف برفض الأساطير والحكايات الخرافية بل فنّدها كما هو الحال مع رحالة وجغرافي كالبيروني [٢] ذلك الرحالة الذي تجول في أنحاء الهند سنة(٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م)ومكث مدة أربعين سنة ، فأطلع على عادات وتقاليد أهلها ودرس أحوالها الجغرافية والطبيعية والاقتصادية ، والذي صنّف رحلته الموسومة بـ " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " تلك الرحلة التي عكست التوصيف الدقيق للحياة العامة في الهند والدينية منها على وجه الخصوص،ولو عدنا الى سيرة هذا الرحالة فنجدها تاتي موافقة لمنهجه الرصين في الرحلة ،اذ يصفه الصفدي(كان مكباً على تحصيل العلوم ولا يكاد يفارق القلم يده ولا عينه النظر في الكتب وقلبه الفكر)[٣] ، فرحلته تكاد تكون خالية من تلك الأساطير او الحكايات الخرافية ، لا بل حاول أن يفند الأقاويل التي كانت شائعة في تلك العصور والتي لاتنسجم مع ثوابت الثقافة الاسلامية التي يمثلها ويشكك في الروايات الضعيفة منها [٤]، وهنا نجد وقوفه على معتقدات العوام من تلك البلاد ، وهو مؤشر مهم على نقد الخرافة في الرحلة إذا ما تعرض لها " [٥] ، كما أن وصفه للعادات والأديان في الهند وطبيعة التقاليد الاجتماعية بمختلف مفاصلها ورموزها كانت محاولة نقلها والتعريف بها فقط ،ولم يحاول تصويرها ايمانا اوتصديقا بها كما يبدوا لقارئها البسيط ، بل كان شارحاً لتقاليد وعادات تلك الشعوب ، محاولاً أتمام نقل ما لديهم من ارث ثقافي أو سلوك معين بوصفه شاهدا موضوعيا وناقلاً لصورة التفكير بمختلف مستوياته والمتعلقة بالحياة والموت والانسان في تلك البلاد وقارئا لعلومهم وطرائق تفكيرهم كما عرفهم طيلة مكوثه بينهم [٦] .وفي رحلة ناصر خسرو (ت: ٤٣١هه/١٠٣٩م)[٧] الى الحج صورة اخرى للرحلات والتي تدرج ضمن الرحلات التي تحمل في طياتها ما هو تاريخي وجغرافي موثوق من خلال القرائن التاريخية وتكاد رحلته تخلو من الوصف الاسطوري ، فضلا عن عدم تسليمه لحكايات وقصص اسطورية سمعها وهو يدون عن تلك الاماكن التي مر بها من قبل اهلها ، فهذا الرحالة الذي احترف العمل الاداري فترة من الزمن مع السلاطين السلاجقة في ديوان الانشاء، ثم اوكلت له مهمة حساب الاموال وجبايتها لدى السلاجقة ،وهذه المهمات تتطلب من صاحبها دقة وتوثيقا لكل صغيرة وكبيرة ،انعكست بالتالي على وصفه لمشاهداته في طريق رحلته الى الحج ليصف الاماكن التي مر بها ،ففي وصفه مثلا لبحيرة طبرية والتي تقع عليها مدينة لوط كما جاء بالرحلة والتي لم يبق منها اثر قط –كما يروي -سوى وجود نوع من الحجارة السوداء غير الصلبة كما يصفها ،يخرج من

---

(١) ياقوت الحموي ، المصدر السابق :٥٨/٣، ٨٠،٩٥، ١١٨.

(٢) أبو الريحان محمد بن أحمد ، البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، (الهند حيدر آباد الدكن : ١٩٥٨) ، ص ٤٩ .

(٣) الصفدي ، المصدر السابق :٦٩/٣.

(٤) البيروني ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٥) البيروني ، المصدر نفسه، ص ٥١ .

(٦) البيروني ، المصدر نفسه ،ص٥١.

(٧) اسماعيل باشا بن محمد امين بن مير سليم الباباني، البغدادي، هدية العارفين ، اسماء المؤلفين واثار المصنفين ،(بيروت داراحياء التراث العربي:د.ت):١٨١/١.

قاعه فيأخذه السكان ويقطعونه ويحملونه الى المدن ،وحين سأل عن جدوى اخذ تلك الحجارة ،قال له الناس ان فيها قوة غريبة من بينها انها اذا ما وضعت قطعة منها تحت اشجارهم يمتنع الدود عنها من غير ان يمس جذورها اذى منه (فلا يتلف البستان مما تحت الارض من دود وحشرات والعهدة على الراوي) [١] ، ثم نجده يورد التسميات غير الصحيحة للاماكن ويصححها احيانا ،ولانراه في اكثر من مناسبة يسلم بصحة الروايات التي يسمعها من ابناء تلك البلاد التي مر بها بل يضع العهدة على الراوي كما يقول .واذا كنا في صدد الحديث عن هذا المستوى من الروايات الدقيقة في الرحلات فلا ننسى رحالة وجغرافي مرموق كمحمد بن محمد الادريسي(ت: ٥٦٠ هه/١١٦٥م) ذلك المؤرخ والجغرافي المتميز كما وصفه من ترجم له [٢] اذ نشأ في بيت ملك وعلم في بلاد المغرب ،وكان الإدريسي قد انتهى إلى جزيرة صقلية، تلبية لدعوة صاحبها: رُجَّار الثاني (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) والذي دعاه بعد ان سمع عن سعة علمه ،ثم طلب منه ان يضع له صورة للعالم، فصنعها له من الفضة على هيئة دوائر كهيئة الأفلاك، ركّب بعضها على بعض، وأقامها على الوضع المخصوص.وتعجب صاحب الجزيرة بذلك وأطمعه بالبقاء في بلاطه لشرفه وغزارة علمه ودقته في وصف الاماكن ، [٣].وغالبا ماكان الادريسي في كتابه نزهة المشتاق يتجنب الخوض في القصص والحكايات غير الموثوق بها، او تلك التي تتعلق بالموروث الحكاياتي القديم ، ففي حديثه مثلا عن جزيرة جالوس وبعد ان وصف احوال وعادات اهلها يقف امام الحكايات التي لايجد ضرورة لذكرها او تدوينها مكتفيا بقوله فيها (وفي هذه الجزيرة عجائب يقع واصفها في حد التكذيب) [٤].

أما ياقوت الحموي في رحلته عام (٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) التي دامت ستة عشر عاماً يجوب فيها البلاد تاجراً ومؤرخاً وجغرافياً، فهو لم يقل دقة وتحريا للخبر عن البيروني والادريسي وغيرهم ممن وضع ضمن الرحلات التي تميزت بدقة رواياتها ، مبتعداً عن ذكر الاساطير والحكايات الخرافية والأعاجيب الغريبة ، اذ كان يوصف على انه مؤرخ وجغرافي ثقة، ذلك الصبي الرومي الذي جاء مع الاسر وبيع في بغداد فاشتراه احد التجار وهو عسكر بن نصر و كان مولاه التاجر لايعرف الكتابة اوالحساب ، فأرسله الى الكتاتيب ليتعلم الحساب ليتولى حسابات تجارته بعد ان رأى أمانته وحسن سيرته الا انه زاد في ذلك ان تعلم اللغة والنحو ثم عمل في التجارة لديه ، ثم تنقل في البلاد وشاهد ما بها من مظاهر للحياة ،،ثم اعتقه مولاه فعمل في النسخ للكتب وقد ازداد معرفة بالعلوم والتواريخ من خلال المطالعة التي قدمتها له هذه المهنة ، ثم مالبث ان عاد الى التجارة بمساعدة مولاه الذي كان قد اعتقه فسافر وتاجر، واسهمت القراءات ، فضلا عن السفر في نشأته كرحالة وجغرافي ومؤرخ متميز انعكس ذلك على طبيعة ما دونه في مصنفه معجم البلدان ، ومن خلال ما جاء في مصنفه الكبير هذا نجد ان التحقيق والتدقيق في صحة الخبر كانت سمة عامة طغت على منهجه[٥]، ونادرا ما يحاول سرد القصص والتي تتداخل فيها الأسطورة بالواقع من خلال ذكرها نقلاً عمن سبقه دون تصديقه بها اجمالاً وتفصيلاً ، إذ غالباً ما ينقلها وهو مرتاب في هذا النقل ،بقوله (وفي أخبار

---

[١] ناصر خسرو ،سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب ، (بيروت ، دار الكتاب الجديد :١٩٨٣) ص٥٣، ٥٧.

[٢] محمد بن عبد الله بن ادريس ، الادريسي ،نزهة المشتاق في اختراق الافاق (بيروت ، عالم الكتب :١٩٨٩) ،٨١؛ الزركلي ، المرجع السابق:٢٤/٧.

[٣] الزركلي ، المرجع السابق:٢٤/٧.

[٤] الادريسي ،المصدر السابق ، ٨١

[٥] ابن خلكان ،ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس(بيروت ،دار صادر:١٩٩٤):١٢٧/٦؛ الزركلي، ،المرجع السابق:١٣١/٨.

قصاص المسلمين أشياء عجيبة تضيق بها صدور العقلاء أنا أحكي بعضها غير معتقد لصحتها)[١] ، ففي حديثه عن جبل دنباوند والذي مر ذكره والذي اشكل على الرحالة كثيرا بين مصدق لقصصه ونافيا لها ومن بينهم ياقوت ،اذ نجده لايكتفي بالتشكيك بصحتها من خلال رواية اخرين بل يروي مايفندها[٢]، وللاصطخري قصة مشابهة عن الاساطير التي حيكت عن هذا الجبل ويسميها خرافات[٣]، كذلك الحال مثلا في حديث ياقوت عن احدى قرى حلب وما سمعه فيها من اعاجيب وغيرها من القصص التي يتردد احيانا في ذكرها اذا ما وجدها لاتتوافق مع المنطق او الواقع اذ نجده يستهجن ما قيل من أساطير وحكايات في حديثه للحكايات التي نسجت من خلال ادبيات تلك البلاد [٤] .

واذا ماكان الحديث عن الروايات التاريخية لكتب الرحلة والتي كان التوثيق والدقة سمة عامة في منهج اصحابها، فلابد من ذكر رحلة محمد بن احمد بن جبيرالكناني (ت:٦١٤هه/١٢١٨م) ،ذلك الشاب الذي نشأ في بيت علم ،وطلب ورواية للحديث والحفظ ثم اجازته من قبل العلماء في القراءت والحديث وضلوعه بالادب [٥] والتي انعكست على طبيعة حياته ومن خلال مدوناته ولا سيما وهو يروي رحلته الاولى الى المشرق عام (٥٧٨هـ/ ١١٨٣م) حين خرج حاجا من بلاده الاندلس الى بيت الله الحرام ،في تثبته من الروايات والاعتماد كثيرا على مشاهداته وعدم التسليم بالقصص والحكايات المشكوك في صحتها ،. فغالباً ما نجده يورد عبارة (والله أعلم،أو عبارة يقال ، يذكر) عندما يبدو غير مصدق للروايات اوغير موقن بها تلك التي يسمعها من اهل المدينة او الكورة ،ولا سيما عند تناوله لقصة أو رواية كان قد سمعها ويعود تاريخها إلى الفترات الموغلة في القدم كما جاء في وصفه لاحدى قلاع بلاد الشام ،ومنها قلعة حلب تحديدا اذ يورد فيها (أن من شرف هذه القلعة أن يذكر . أنها كانت قديماً في الزمان الأول ربوة يأوي إليها ابراهيم الخليل ، عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم ، بغنيمات له فيحلبها هنالك ويتصدق بلبنها فلذلك سُمِّيتْ حلب ، والله أعلم"[٦]

وتبقى هناك معايير هامة يجب على المتخصص وهو يتحرى النصوص لابد من اعتمادها حين تاتي الرواية من كتب الرحلات بوصفها احدى المصادر الهامة في اغناء المعرفة التاريخية .

روايات الرحالة ومكانتها في التوثيق التاريخي

ان قيمة المؤلفات التي تدرج بوصفها كتبا مساعدة لكتب التواريخ كونها احدى انماط التدوين للتاريخ ومن بينها كتب الرحلة فأنها تستمد دقة نصوصها التاريخية لتعتمد من خلال جملة اولويات ، منها الى أي مدى جاءت رواياتها متوافقة زمانيا ومكانيا وسياسيا مع ما موجود في كتب التواريخ المعتمدة ، فضلا عن قوة التوثيق التي لها علاقة مباشرة بأسم صاحب الرحلة ومؤهلاته العلمية ، ناهيك عن طبيعة واهداف الرحلة التي يمكن من خلالها معرفة دوافع المؤلف ومدى حرصه على دقة المعلومة من عدمها ،يضاف الى ذلك ان قيمة الروايات التاريخية التي ترد في كتب الرحلة قد تكون لها قيمة مهمة عند كتاب دون اخرين ، فنظرة

---

[١] ياقوت ،المصدر السابق :٢٩/١.

[٢] ياقوت ،المصدر نفسه:٢٨٧/٣.

[٣] الاصطخري،المصدر السابق :ص٧٢.

[٤] ياقوت ، المصدر السابق:٣٢٤/٦.

[٥] الذهبي ،المصدر السابق :٤٥/٢٢.

[٦] أبو الحسين محمد بن أبي أحمد ، ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، تقديم : محمد مصطفى زيادة ، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ت) ، ص ٢٠٣ .

الاديب الى روايات الرحالة هي غيرها بالنسبة للجغرافي وهي بالتالي تختلف عن نظرةالمؤرخ الحصيف اليها،الا ان الروايات التاريخية التي حوتها كتب الرحلة ولاسيما الرحلات العلمية[١] ، او تلك التي تتعلق بحساب موارد الخلافة وتصنيف الاراضي الزراعية (كتب المسالك والفتوح)ومايتعلق بها من حسابات هي الاخرى تحتل مكانة مهمة في التوثيق التاريخي ، في وقت بدت الرحلات الخاصة بين ما كان القصد منها تجاريا اوتلك التي رويت عن اخرين ،او التي تاتي بتكليف من جهات رسمية فأن مجال المبالغة في التوصيف فيها يكون كبيرا[٢] -كما مر بنا- لذا لم نجد المؤرخين القدامى ممن وصفوا بالدقة والتوثيق في نقل وكتابة الاخبار ولاسيما من اعتمد منهج علم الحديث منهم في تدقيق صحة الروايات التاريخية كالطبري مثلا يعولون كثيرا على الروايات التاريخية التي يكون مصدرها نصا اورواية نقلت شفاها او كتابة عن الرحلة ، الا ان الرحلة كان لها صدى من نوع اخر في التوثيق التاريخي عند اخرين من المؤرخين ولاسيما المتأخرين منهم ولاسيما بعد ان انفرد الرحالة بذكر مشاهد ومواقف شاهدها او مر بها وانفراده بذلك الخبر دون سواه ، فيغري ذلك الامر المؤرخ لاضافة معلومة جديدة لم يذكرها اقرانه من المؤرخين في وقت كثرت الكتابات التاريخية في التواريخ العامة والتواريخ المحلية ناهيك عن ظهور الكتب الموسوعية ، التي لم تقف كثيرا على دقة النص بقدر اهتمام اصحابها من المؤلفين بتقديم عرض اجمالي وموسوعي يغطي مدة ستة قرون اواكثر من الزمان محتويا للمعارف المختلفة في مصنفه ونجد ان موادها تجمع بين ماهو تراجم ، ونظم مالية وادارية ورسوم، فضلا عن احتوائها على مادة ادبية واسعة متخذة من التاريخ اداة في ربط تلك المعارف ، فيكون الحشو الكمي احيانا للنصوص على حساب الدقة والتوثيق الذي لايكون له متسع في عمل ذلك النوع من المصنفات، لتبقى مادة الرحلة بين مقبل عليها واخر مدبر وثالث مشكك في نصوص بعضها ولاسيما الرحلات التي عرف عن اصحابها بضعف الرواية وكثرة الخلط ،في وقت كانت تعني لاخرين من اصحاب التخصصات الاخرى غير التاريخ معينا مهما ومصدرا لكتاباتهم بما تحتويه على الرغم مما تحتويه من معلومات متفاوتة في التوصيف ودرجة الدقة .

النتائج

وفي الختام فإن الدراسة ــ نطاق البحث ــ أظهرت ومن خلال النصوص والروايات التاريخية التي تخللت الرحلة في اثنائها، أن من الضروري بمكان تدقيق تلك الروايات قبل اعتمادها نصوصا تاريخية من خلال تأكيد اليات هامة يأتي في مقدمتها قراءة متأنية في سيرة الرحالة لاسيما مايتعلق منها بالتحصيل العلمي والبيئة الثقافية للرحالة قبل الاخذ عنه والإعداد المسبق للرحالة له أثره الهام في طريقة تفسيره وتأويله للظواهر التي يشاهدها أو يسمعها من أهالي تلك الأماكن او البلاد التي مر بها، إلاّ أن سهولة اختراقها لمؤلفات قديمة منها ومعاصرة دون تمحيص قد أسهم سلباً في غالب الأحيان في اقحام عددا من تلك الحكايات بسبب قبولها من قبل العديد من المؤرخين لهم صيت مهم في مكتباتنا والذين اعتمدوها ومن أجل استكمال ما نقص الحديث عنه زمانيا ،فأعتمدت اخبار الرحلات تلك لتفردها احيانا بذكر احداث اوتفاصيل - رغم ضعف نصوصها- احيانا والتي انفرد الرحالة اوالجغرافي في ذكرها رغم تعارضها مع المنطق والواقع.

---

[١] ينظر البيروني ،المصدر السابق ،ص٦؛ابن جبير ، المصدر السابق ،ص٧٣.

[٢] ينظر ابن فضلان ، المصدر السابق ،ص١٢٣.

الا ان الشكوك بروايات كتبها رحالة لايعني ترك الروايات التاريخية التي وردت في كتب الرحلة، ولكن من المهم ان تخضع نصوصها الى اليات التوثيق التاريخي ولا سيما اذا ما علمنا ان هناك ثلاث مستويات من الكتابات التي تناولتها كتب الرحلات ، فالمستوى الاول تجسد في كتابات غلبت عليها روايات محشوة بالاساطير والوصف غير المنطقي والخيالي ، اما المستوى الثاني فقد امتزج فيه ما هو حقيقي منه مع ما هو خيالي وأسطوري غير ممكن التسليم به من روايات ، ومستوا ثالثا غلب عليه صفة العلمية والدقة في وصف الظواهر والاحداث ،وبدا هذا التدرج في مستوى الروايات التاريخية في الرحلة قد انصف الرحلة ،لتبقى روايات الرحالة بعد تصنيفها رافدا مهما للتاريخ وبما تحويه من تنوع في مستوى الطرح، والتي أسهمت بشكل او بأخر في نقل مشاهدات حية قد لا نجدها أحياناً في كتب التاريخ الصرفة والتي لا يمكن الاستغناء عن الكثير منها في رسم صور الحياة بمختلف مفاصلها وحيثياتها اليومية المباشرة من تلك الاماكن التي يصعب على الناس قصدها والتعرف عليها ليكون الرحالة في العديد من الاحوال دليلا سياحيا، واخباريا وعارفا بالمسالك والطرق في الوقت ذاته يمتلك من الاخبار ما قد لانجدها عند اخرين من الكتاب.

الإرهاب الدولي وتداعياته على الأمن والسلم العالمي
دراسة تحليلية من منظور اجتماعي

أ.م.د. حمدان رمضان محمد
كلية الاداب/ قسم علم الاجتماع/ جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١١/٥/٨ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١١/٦/٢٣

ملخص البحث:

يعد هذا البحث محاولة لقراءة واقع الإرهاب الدولي الذي ينتج الخراب والتدمير في مختلف الزوايا الاجتماعية ، من خلال استعراض مراحل التحليل السوسيولوجي لهذه الظاهرة وتحليل عواملها والأطر النظرية المفسرة لها وتتبع مراحل تطورها التاريخي ومدى الغموض الذي يسود هذا المفهوم ، ومعرفة تداعياته أو انعكاساته على الأمن والسلم العالمي ,ومن ثم الوصول إلى وضع بعض المقترحات المقبولة لمواجهة الإرهاب الدولي الذي طال المجتمعات الإنسانية برمتها.

Global Terrorism and its Consequences on global security and peace.
Analyical Study from social prospect

Abstract:

This paper is an attempt to investigate the international terrorism. it also studies the destruction from different angles. That comes out of it. The study is made through reviewing the analysis of this phenomenon. Similarly, stages of the sociological. The study analyses the factors and the theoretical frameworks that stand behind the phenomenon. Further more the study traces back the historical development and the vagueness that prevail. The subject of terrorism. The study attempts to know its associations and reflections also on the world peace and security. The study finally arrives at some recommendations to face the international terrorism from which the societies suffer.

المقدمة:

قال تعالى : (**من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**) صدق الله العظيم – المائدة / ٣٢

إن مستجدات الحياة ومتغيراتها وخاصة في زماننا الحاضر أصبحت تفرض وبقوة على المختصين تناول مواضيع الساعة الساخنة بالبحث والتمحيص والدراسة والنقاش عسى أن يجدوا لها مخرجاً ومنها مهرباً ومن ضيقها منفذاً يصلون من خلاله إلى بر الأمان وشاطئ الاستقرار .ولعل تغير أنماط النظام العالمي السائد وتغير شكل العلاقات بين الدول بسبب المصالح والأطماع الخاصة هو ما أدى ويؤدي إلى التغيير السريع والمتلاحق في مجريات الحياة الإنسانية .

وبما أن قضية الإرهاب الدولي باتت تشغل جميع دول العالم جميعا في الوقت الحاضر -على رغم إن الإرهاب كجريمة ليس بالقضية الجديدة- إلا أن الجديد في موضوع الإرهاب الدولي في الوقت الحاضر هو

إن الإرهاب أصبح ظاهرة عالمية ، أي إنها لا ترتبط بمنطقة او ثقافة او مجتمع او جماعات دينية او عرقية معينة .

فقد شهدت السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين الميلادي تصاعداً ملحوظاً في العمليات الإرهابية كانت أشدها سياسة الولايات المتحدة في المنطقة تحت ما يسمى بالشرق الأوسط حيث تم فيها احتلال العراق وقبلها احتلال أفغانستان بالإضافة إلى التهديدات المستمرة لعدد من الدول في المنطقة ومحاولة تغيير ملامح المنطقة من خلال طرح مشاريع تقسيم الشرق الأوسط .

وعليه فإن هذا البحث يعد محاولة لقراءة واقع الإرهاب الدولي من خلال ستة محاور ،يتضمن المحور الأول الإطار المنهجي للبحث بينما يتناول المحور الثاني لمحة تاريخية عن الإرهاب، أما المحور الثالث فتناولنا الاتجاهات النظرية المفسرة للإرهاب،بينما شمل المحور الرابع أهم العوامل المؤدية إلى ارتكاب جريمة الإرهاب،أما المحور الخامس فقد تضمن انعكاسات الإرهاب وتداعياته على الأمن والسلم العالمي،في حين تضمن المحور الأخير نتائج البحث ومقترحاته.

أولاً : الإطار المنهجي للبحث.

١ـ مشكلة البحث :

تعد ظاهرة الإرهاب من اخطر الظواهر التي تواجه المجتمع الدولي اليوم،وتتضح خطورة هذه الظاهرة في عدد ضحايا الإرهاب وفي الخسائر المادية الناجمة عنه.ولا يقتصر الإرهاب اليوم على أفعال يرتكبها فردا اومجموعة أفراد بدافع الحصول على منافع مادية أو سياسية بل انه يشمل أيضا الحملات الواسعة التي تشنها الدول لقمع حركات تحررية وطنية أو لغرض سياسات أو اتجاهات داخلية أو خارجية على دول أخرى وهكذا يتحول الإرهاب إلى أداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية والى وسيلة من وسائل التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ولاشك ان هذا يؤدي إلى تأزم العلاقات بينها مما قد يدفعها في النهاية إلى قطيعة أو نزاعات مسلحة مدمرة.

إن التطور الذي تعيشه الأسرة الدولية وبصفة خاصة منذ نهاية الحرب الباردة ولحد ألان،جعل من إرهاب الدولة احد العناصر الأساسية في دينامية التعامل الدولي المعاصر.. وأصبح استخدام الإرهاب أداة فاعلة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية وخاصة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية بسبب مجموعة من المتغيرات الدولية.منها مايتعلق بخصائص المجتمع الدولي المعاصر،ومنها مايرتبط بالتغيرات التي تعيشها الأسرة الدولية، وأخيرا ما يعود إلى خصائص الإرهاب ذاته كأداة من أدوات العمل السياسي.

إن هذه الخطورة التي ينطوي عليها الإرهاب وخاصة إرهاب الدولة هي التي دفعتنا إلى بحث هذه المشكلة باعتبار أن الإرهاب إحدى الأدوات الفاعلة في العمل السياسي في الوقت الراهن وخصوصا إزاء بعض بلدان العالم الثالث.

ولعل أكثر مايلفت الانتباه اليوم فيما يتعلق بالإرهاب الدولي هو التساؤل الآتي : من هو الفاعل؟ وما هو الإرهاب الحقيقي؟ وما أسبابه؟ وما أطره النظرية؟ وما جذوره؟ وما تداعياته وانعكاساته على الأفراد والجماعات والمؤسسات والدول؟ وما الحلول الأمثل لمعالجته أو إيقافه أو التقليل من آثاره المدمرة على الأمن والسلم الدوليين.

٢ـ أهداف البحث :

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة أهداف منها :-

١. توضيح مفهوم الإرهاب الدولي.
٢. إعطاء لمحة تاريخية عن الإرهاب الدولي .
٣. إبراز المنطلقات النظرية المفسرة للإرهاب.
٤. تحديد ابرز العوامل المؤدية إلى ارتكاب جريمة الإرهاب الدولي.
٥. تشخيص آثار الإرهاب الدولي وانعكاساته وتداعياته على الأمن والسلم الدوليين .
٦. وضع بعض المقترحات والتوصيات لمعالجة الموضوع .

٣ـ أهمية البحث :

تتجلى أهمية هذا البحث من اختيارنا لأحد أهم الظواهر الاجتماعية والقضايا السياسية وحتى الفكرية التي يجري الحديث عنها او تحليلها الآن في كل ميادين الحياة العامة فضلا عن الخطورة التي ينطوي عليها الإرهاب الدولي، وآثاره على الفرد والجماعة والمؤسسات والمنظمات الدولية والمجتمع الدولي ، وفي العلاقات الدولية ومستقبل التنمية والسلام والاستقرار بين الدول ، وانعكاسات ذلك على الحضارات الإنسانية.

ومن جانب آخر تكمن أهمية البحث في أن الإرهاب الدولي يعد جريمة دولية تعرض لها شعبنا العراقي بقومياته ومكوناته وأطيافه كافة بأسلوب منظم من قبل الاحتلال الأمريكي الصهيوني الذي جسد ظاهرة إرهاب الدولة بكل معانيه ، مما جعلها تختلف سماتها وأسبابها ومصادرها ، لذا فإن الحاجة تبدو ملحة لتناول مثل هذه القضايا من جوانب عديدة خاصة وان الساحة العراقية تكاد تخلو من تحليل متعمق لظاهرة الإرهاب من مداخلها الاجتماعية لذا جاءت هذه المحاولة إضافة معرفية لإثراء المكتبة العربية بذلك .

وكذلك تبدو أهمية البحث من خلال بيان الحقيقة وتبرئة الساحة من التجنيات والاتهامات الذي طالت الأديان والثقافات والقارات ، وإلصاق ظاهرة الإرهاب الدولي بثقافة او دين معين ، ونقصد بذلك الثقافة الإسلامية والدين الإسلامي من قبل أعداء الأمة.

٤ـ مفهوم الإرهاب الدولي.

أ- معنى الإرهاب لغوياً:

اقر مجمع اللغة العربية " الإرهاب " ككلمة حديثة في اللغة العربية وأساسها (رهب) أي خاف وكلمة إرهاب هي مصدر الفعل (ارهب)، كما عرف مجمع اللغة العربية في معجمه الوسيط " الإرهابيين " " بأنهم " الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب من اجل تحقيق أهداف سياسية [٢].

فكلمة الإرهاب تشتق من الفعل " ارهب " ، ويقال ارهب فلاناً ؟ أي خوفه وفزعه ، وهوالمعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المصنف (رهب) ، اما الفعل المجرد من نفسها المادة وهو (رهب) ، رهب رهبة ورهباً فيعني خاف ، فيقال رهب الشيء رهباً ورهبة أي خافه[٣]

وقد جاء في القاموس المحيط: رهبَ كعلم ، رهبة ورهب بالضم والفتح وبالتحريك – ورهبانا – بالضم – ويحرك واستر هبه : أخافه[٤] .

وكلمة الرهبة في اللغة العربية تعني الخوف المشوب بالاحترام[٥]، والإرهاب هو الإزعاج والإخافة[٦]، وقد ورد في " لسان العرب " في مادة " رهب " ارهبه واستر هبه أي أخافه وأفزعه[٧].

وفي قاموس المنجد و – دان " الرهب " و " المرهوب " هو ما يخاف منه ، والفعل الثلاثي هو " ارهب " أي أخاف وهي مشتقة من المصدر وهو الإرهاب ، والإرهابي هو من يلجأ إلى الإرهاب ليقيم سلطته[٨] .

وقد ورد على لسان الزمخشري إن كلمة " رهيب " في أساس البلاغة تعني الرجال المرهوب الذي عدوه منه مرعوب[٩] .

فالإرهاب في اللغة العربية هو الخوف والفزع وكل ما من شأنه إثارة الرعب والذعر بين الناس بغية حملهم على الطاعة والخضوع[١٠].

وكذلك وردت في القرآن الكريم عدة ألفاظ تدور معانيها حول مادة الإرهاب وهي : الخوف وقد وردت مادته (١٢٣) مرة، مادة الرعب وردت (٥) مرات ، ومادة الردع وردت مرة واحدة فقط ، ومادة الفزع وردت (٦) مرات ، ومادة الرهبة وردت (٨) مرات .

كما وردت مصطلحات أخرى تندرج ضمن الإرهاب وهي البغي والطغيان والظلم والعدوان والخيانة والغدر والقتل والسرقة والحرابة وهي صور ووسائل وأدوات هدامة تشيع الخوف في المجتمع وترهب الآمنين فيه .

كما وردت كلمة الرهبة في القرآن الكريم بمعنى الخشية وتقوى الله سبحانه وتعالى ، وفيما يلي عدد من الآيات التي وردت فيها الكلمة . (١١)

- في قوله تعالى : ((وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون)) الأعراف / آية ١٠٤ .(١٢)
- في قوله تعالى : ((وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فأرهبون)) وقوله ((انما هو اله واحد فإياي فأرهبون)) النمل / آية ٥١ .(١٣)
- في قوله تعالى : ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)) الأنفال / آية ٦٠ .(١٤)
- في قوله تعالى : ((واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم)) الأعراف / آية ١١٦ .(١٥)
- في قوله تعالى : ((لأنتم اشد رهبة في صدورهم من الله)) الحشر / آية ١٣ .(١٦)
- في قوله تعالى : ((ويدعوننا رعباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين)) الأنبياء / آية ٩ . (١٧)
- في قوله تعالى : ((وأضم اليك جناحك من الرهب)) .

اما معنى الإرهاب باللغة الانكليزية هو (Terrorism) ومصدرها الفعل اللاتيني (Terse) والذي أخذت منه كلمة (Terror) والتي تعني الرعب او الخوف الشديد.(١٨)

وفي قاموس المورد جاء فيه أن كلمة (Terror) تعني رعب ، ذعر ، هو كل ما يوقع الرعب في النفوس [١٩]

وقد عرف قاموس (Ox ford) الإرهاب (Terrorism) بانه استخدام العنف والتخويف خصوصاً لتحقيق أهداف سياسية [٢٠].

ب- معنى الإرهاب اصطلاحاً :

لا يوجد إجماع دولي ومجتمعي على تعريف محدد وواضح للإرهاب وهذا يعود دون شك إلى العامل السياسي والأيديولوجي ، وظهرت تعاريف متعددة حددت الإرهاب من المنظور العالمي ورغم تباينها إلا أنها

تشير إلى أن أعمال الإرهاب تهدد الاستقرار السياسي والمجتمعي عن طريق استخدام العنف على وجه غير مشروع لتحقيق مكاسب وأهداف مرسومة .

فقد ورد مفهوم الإرهاب في قاموس العلوم الاجتماعية بأنه " فعل لا يعير اهتماماً بمسألة الضحايا ، وهو يوجه ضرباته التي لا تأخذ غطاء محدداً تجاه أهدافه المقصودة بهدف خلق جو من الرعب والخوف".(٢١)

بينما يعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية الإرهاب بأنه " عبارة عن الطريقة التي تحاول بها جماعة أو حزب أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف". (٢٢)

أما معجم المصطلحات الفقهية والقانونية فيعرف الإرهاب على انه " عمل تهديدي تخريبي يراد منه زرع الخوف والذعر في نفوس الأهالي ، وخلق الاضطراب وزرع الفوضى ، بهدف الوصول إلى غايات معينة".(٢٣)

وفي الموسوعة السياسية يعني الإرهاب " استخدام العنف او التهديد به – بكافة أشكاله المختلفة كالاغتيال والتسوية والتعذيب والتخريب والنسف ... بغية تحقيق هدف سياسي معين ، مثل كسر روح المقاومة ، وهدم معنويات الأفراد والمؤسسات أو كوسيلة للحصول على معلومات أو مكاسب مادية ، أو لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية(٢٤) .

وفي القاموس السياسي فإن كلمة إرهاب ، تعني محاولة نشر الذعر والفزع لتحقيق أغراض سياسية ، والإرهاب وسيلة تستخدمها الحكومة الاستبدادية لإرغام الشعب على الخضوع والاستسلام(٢٥)

وتعرف عصبة الأمم الإرهاب بأنه " الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة ما ، ويكون الهدف منها او من شانها إثارة الفزع والرعب لدى شخصيات معينة أو جماعات من الناس ولدى العامة " .(٢٦)

بينما يعرف الأمم المتحدة الإرهاب ، " بأنه جريمة ضد سلم وامن البشرية جمعاء " .(٢٧)

في حين تعرفها دول عدم الانحياز الإرهاب الدولي بأنه " ما يشير إلى أعمال العنف وغيرها من أعمال القهر التي تقوم بها النظم الاستعمارية والعنصرية ضد الشعوب التي تناضل من اجل تحريرها ، ومن حقها تقرير مصيرها بنفسها " .(٢٨)

في حين يعرف د. عبد العزيز سرحان الإرهاب الدولي بأنه " كل اعتداء على الأرواح والأموال والممتلكات العامة او الخاصة بالمخالفة لأحكام القانون الدولي العام بمصادره المختلفة ، بما في ذلك المبادئ الأساسية لمحكمة العدل الدولية"(٢٩).

ويعرف الحجني الإرهاب بأنه " ظاهرة دولية معقدة ، وجريمة خطرة ضد الشعوب والحكومات ، ويقوض دعايم الأمن والاستقرار ويعطل مشروعات التنمية والازدهار ويسبب أضرار فادحة على كل المستويات " (٣٠).

ويعرف (Bell) الإرهاب بأنه " صفة تطلق على الأعمال غير المشروعة التي تمس المجتمع وتصيب أفراده بالفزع والترويع " (٣١).

في حين حددنا تعريف الإرهاب الدولي في هذا البحث بما يأتي:

هو كل فعل عنيف أو الاستعمال غير المشروع للقوة أو التحريض علية أو تهديد به من قبل دولة معينة على دولة أخرى في أي مكان كانت ،ويقوم بأعمال اعتداء على الأرواح والأموال وتهدد أمنها وتعرض استقرارها للخطر ويحاول تدخل في شؤونها ويفرض سيطرته أو هيمنته عليها تحت مسميات

وذرائع مختلفة ينتهك بها سيادتها وسيادة أحكام القانون الدولي في سبيل الوصول إلى غايات وأهداف معينة تحقق بها مصالحها الخاصة.

ثانياً : لمحة تاريخية عن الإرهاب

لم تعرف المجتمعات القديمة جريمة الإرهاب بمفهومها الشائع في العصر الحديث ، وبالرغم من ذلك فإننا نجد أن هذه الجريمة لها جذور ممتدة عبر التاريخ الإنساني[٣٢] . بل انه ولد من ولادة الإنسان أول مرة وما واقعة قتل قابيل لأخيه هابيل إلا دليل على ذلك[٣٣] .

بل إن ظاهرة العنف كانت السمة الميزة للمجتمعات البدائية ، مجتمع شريعة الغاب والبقاء للأقوى ، واستمرت هذه الظاهرة وتنامت بعد ظهور المجتمع المدني المنظم ولها في اجتياح الهكسوس لمصر الفرعونية قبل ظهور السيد المسيح (عليه السلام) خير مثال على ذلك[٣٤] . كما عرف الفراعنة جريمة الإرهاب في عام ١١٩٨ ق.م وأطلقوا عليها اسم " جريمة المرهبين " حيث كان هناك محاولة لاغتيال الملك رمسيس الثالث عرفت بمؤامرة " الحريم الكبرى " [٣٥] .

وقد عرف الآشوريون الإرهاب في القرن السابع قبل الميلاد ، حيث استخدموا الوسائل الإرهابية على نطاق واسع ضد أعدائهم البرابرة [٣٦] .

وقد كانت أقدم منظمة إرهابية عرفها التاريخ هي منظمة " السبكاربون " التي شكلها بعض المتطرفين في منطقة فلسطين في فترة ٦٦/٧٣ ق.م بعد أن كان البابليون قد شتتوهم عام ٥٨٦ ق.م[٣٧] .

وفي عصر الرومان كان من الصعب التفرقة بين الإرهاب والجرائم السياسية حيث كان المجرم السياسي يعتبر عدوا للأمة ، وكانت الجرائم السياسية تعد ضمن الجرائم العامة ، وهي الجرائم التي تشمل الأفعال الخطيرة التي يتعدى ضررها الأفراد فتصيب المجتمع بأسره ، مثل التآمر مع أعداء الوطن وجرائم المساس بأمن الدولة ،واثارة الفتن والقلاقل والتمرد والثورة على سلطة الرئيس[٣٨] .

وعند الإغريق كانت الجريمة السياسية مرتبطة بالمفهوم الديني ، ولكن هذه النظرة بدأت تتغير بتطور الحضارة اليونانية ، وبدأ مفهوم الجريمة السياسية ينفصل عن مفهوم الجريمة الدينية ، حيث أصبحت الجريمة السياسية هي الجريمة الموجهة إلى الدولة او بنائها الاجتماعي أو ضد سيادة الشعب[٣٩] .

وفي عصر الجاهلية قبل صدر الإسلام كان يسود المجتمع العنف والإرهاب والسيطرة ، وبعد ظهور الإسلام ظهر الإرهاب القائم على التطرف الديني ويرى بعض الباحثين انه يرجع في تاريخ الإسلام إلى حركة الخوارج التي انبعث عنها العديد من الحركات المنشقة التي شهدها التاريخ الإسلامي[٤٠] .

وبحلول القرن السادس عشر شهد العالم الإرهاب ، وهو يتنقل إلى أعالي البحار ، حيث أخذت عصابات خارجة عن القانون ترتكب هناك أعمال القرصنة من نهب واعتقال حيال السفن التجارية ، وتمارس القرصنة ابتزاز الأموال وإرغام السلطات على تحقيق مطالب سياسية وقيل بأن " القرصان عدو مشترك للبشرية " كما اعتبرت القرصنة جريمة ضد قانون الشعوب[٤١] .

وقد شهدت القرون الوسطى أبشع صنوف البطش والعنف متمثلة في محاكم التفتيش التي نصبها الباباوات للانتقام من مخالفيهم وكل من لا يدين بالولاء للكنيسة البابوية ، واستمر هذا العنف واخذ شكلاً جماعياً عند الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، وسقوط لملك لويس السادس عشر والقضاء على النظام الإقطاعي ، مرت فرنسا بمرحلة من الإرهاب في عهد " الجمهورية اليعقوبية " التي امتدت من عام ١٧٩٢ - ١٧٩٤[٤٢].

ويبدو أن العالم حتى هذا التاريخ لم يعرف الإرهاب لحدود الدول والذي أطلق عليه لفظ الإرهاب الدولي ، وربما كانت ظروف الدول والمجتمع ككل بالإضافة إلى ظروف الاتصال والانتقال سببا وجود الإرهاب الدولي بصورته الحالية .

وانطلق الإرهاب كمصطلح متداول في الخطاب السياسي المعاصر في القارة الأوربية وترسم في شكله الحركي في الولايات المتحدة الأمريكية ، فمنذ أن شهدت حروب الانفصال (١٨٦١-١٨٥٦) تشكلت حركات وأحزاب سياسية تختلف كل الاختلاف عن الأحزاب والحركات التي كانت سائدة في العالم ، التي من أبرزها حزب (Know nothing) والمسؤولية عن تصفية السود في أمريكا[٤٣] .

وقبل الحرب العالمية الأولى وقعت ابرز عملية إرهاب دولي كان لها دوي كبير بل تعتبر نقطة بارزة في لفت أنظار المجتمع الدولي لخطورة الإرهاب على العلاقات الدولية ، وهي اغتيال ولي عهد النمسا " الدوق فرانز – فيرديناند " وزوجته في سيرابيفوا على يد قاتل سياسي من صربيا في ١٩١٤/٦/٢٨ وكانت بمثابة الشرارة التي أشعلت نار حرب عالمية استمرت أربع سنوات[٤٤] .

وشهدت صورة الإرهاب المنظم للدولة النازية داخل ألمانيا من خلال الجرائم التي ترتكبها قوات القاصفة وقوات " Lss " ضد كل من يخالف السياسات الهتلرية ، كمقدمة لتصدير الإرهاب النازي إلى خارج الحدود وهو الذي أدى إلى تفجير الصراع الدولي الشامل الثاني في القرن العشرين وهو الحرب العالمية الثانية[٤٥] . حيث افتعل نشوب الحرب العالمية الثانية اثر حادثة اغتيال " الكسندر الأول ملك يوغسلافيا " و " برنو " وزير خارجية فرنسا في مرسيليا من قبل مجرمين كروات بإيعاز من الزعيم الايطالي " موسولين " في تشرين الأول ١٩٣٤[٤٦] .

وحقيقة القول الذي لابد من الإشارة اليها هي ان للحقبة الاستعمارية التي مر بها العالم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين دورا كبيرا في نمو وتطوير الإرهاب الدولي وذلك بسبب الظلم والتسلط الذي مارسته الدول الاستعمارية على شعوب الدول الضعيفة والمستعمرة [٤٧] .

وفي عقد التسعينات تحولت استراتيجيات الإرهاب بشكل حاد من الرعاية عن طريق الفعل إلى التدمير للخصم أو على الأقل الإنهاك المستمر لقوى الدولة ، وهدفهم هو تحطيم الدولة أو أحداث اكبر قدر من الخسائر بها[٤٨] .

وفي القرن العشرين صارت جريمة الإرهاب من أكثر الجرائم خطورة على المجتمع الدولي ، الأمر الذي دعا الأمم المتحدة في عام ١٩٧٢ إلى إضافة لفظ دولي إلى مصطلح الإرهاب الذي كان مستخدماً من قبل للتعبير عن تلك العمليات الإرهابية ، والى إنشاء لجنة متخصصة مهمتها الرئيسة دراسة الأسباب والدوافع الكامنة وراء عمليات الإرهاب الدولي ثم بدأت العمليات الإرهابية تزداد خطورة وكثافة على الصعيد الدولي ، وهو ما صعد بهذه القضية او الظاهرة إلى أن تتبوأ المكانة الأعلى من الاهتمام والخطاب الدوليين.[٤٩]

وأخيراً لقد تطور الإرهاب الدولي في بداية الألفية الثالثة بشكل جديد مختلف وذلك بسبب اختلاف بنية وهيكلية النظام العالمي الجديد ومحاولة دولة واحدة وهي الولايات المتحدة الأمريكية فرض سيطرتها وهيمنتها على العالم مما جعل فكرة الإرهاب الدولي أكثر شيوعا واستخداما أكثر من أي وقت مضى.

مما أدى إلى اندلاع الحرب الأولى في القرن الواحد والعشرين بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، والتي تعتبر الأولى من نوعها في تاريخ البشرية نتيجة محاولاتها التدخل في الشؤون الداخلية للدول تحت

مسميات مختلفة والتي بات تهدد الأمن والسلم الدوليين استقرارها خصوصاً بعد أحداث " ١١ سبتمبر " ٢٠٠١.

ثالثا : منطلقات النظرية المفسرة للإرهاب الدولي

لقد ظهرت اتجاهات نظرية متباينة لتفسير الإرهاب من منظور سوسيولوجي ويمكن عرض أهم القضايا النظرية لهذه النظريات .

بدءا نستطيع القول إن تفسير رواد البثالوجيا الاجتماعية للمشكلات يكون من خلال حكمهم على الظروف الاجتماعية في المجتمع من خلال مفهوم الصحة والمرض ، ولاشك إن حالة البثالوجيا الاجتماعية تمثل انتهاكاً للتوقعات الأخلاقية المجتمعية بالإضافة إلى المشكلات الناجمة عن فشل دور التنشئة الاجتماعية وعن التعليم الخاطئ للقيم .

وعليه فإن الإرهاب من منظور البثالوجيا الاجتماعية ناجم عن مخالفة التوقعات الاجتماعية ، ومن اجل إعادة حالة الصحة المجتمعية فلابد من تأسيس التربية الأخلاقية الصحيحة والتي بدورها ستلعب الدور الصحي للمجتمع[٥٠].

وارتبط منظور البثالوجيا الاجتماعية في تفسيره للمشكلات الاجتماعية بالثورة الصناعية ، وما نجم عن حالة التحول الاجتماعي التي أصابت المجتمع الأوربي ، إضافة إلى حالة التصنيع وآثارها الاجتماعية السلبية على المجتمع والفرد .

وتعود فكرة البثالوجيا الاجتماعية إلى رواد علم الاجتماع الأوائل وخاصة (هربرت سبنسر) و(اوكست كونت) ويقوم هذا المنظور على أساس فكرة المماثلة والمشابهة العضوية .

بينما انطلق كونت في تفسير النظام الاجتماعي ومشكلاته الاجتماعية الناجمة عن حركة التحولات السريعة والتي تعرض إليها المجتمع الصناعي من خلال قانون المراحل الثلاث والمتمثلة في المرحلة اللاهوتية والميتافيزيقية والمرحلة الوصفية . واستطاع كونت توظيف الثنائية الاستاتيك والديناميك . ويرى ان حالة الاستاتيك ترتبط بعوامل وآليات وجود النظام الاجتماعي بينما ترتبط الديناميك بحالة حركة النظام الاجتماعي والمبنية على أساس التقدم .

وظهرت آثار المماثلة العضوية في علم الاجتماع الأمريكي من خلال انحلال وقصور الروابط الاجتماعية . وهذا يعود إلى إن الظروف البثالوجية في المجتمع ناجمة عن عدم مقدرة الأفراد على مواكبة تغير المثل والمنظمات الاجتماعية ، إضافة إلى فشل المجتمع في المحافظة على الآلية الوظيفية والمرتبطة بتغيير الظروف في العالم الذي يعيشون فيه[٥١] .

. بينما انطلق منظور للتفكك الاجتماعي في تحليله للمشكلات الاجتماعية منها الإرهاب من خلال نظرية التخلف الثقافي إضافة إلى أن هذه النظرية تستند إلى التقدم المادي يفوق في الغالب التقدم الثقافي وهذا بدوره يؤدي إلى إبراز مشكلات اجتماعية .

و يعود ظهور هذا المنظور إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى كاستجابة للتغيرات التي حصلت في المجتمع الأمريكي المتصلة بالهجرة والتحضر والتصنيع ، ويعد (واكبرن) من الرواد الأوائل لهذه النظرية.[٥٢]

في حين انطلق رواد صراع القيم في تحليلهم للمشكلات الاجتماعية كالإرهاب من التراث النظري لمفكري الصراع الأوربيين والأمريكيين وخاصة ماركس في تحديده لمسألة الصراع الاجتماعي وجورج

زميل في تحديد الصراع كمشكل من أشكال التفاعل الاجتماعي ، ويعد رجرد فوللر ورجرد ميرز المؤسسين الأوائل لهذا المنظور في تحليل المشكلات الاجتماعية والمرتكز على أساس مبدأ صراع القيم الاجتماعية .

وينطلق فوللر وميرز في تحليل وتفسير المشكلات الاجتماعية من اعتبار ان المشكلات الاجتماعية لها تاريخ طبيعي وترتبط بثلاث مراحل تتمثل في .

- الإدراك
- تحديد السياسة
- الإصلاح

ويمثل الإرهاب بالنسبة لمنظور البثالوجيا الاجتماعية الظروف الاجتماعية المتعارضة والمخالفة لقيم بعض الجماعات والتي يستطيع أعضاؤها إعلانها من اجل أخذها بعين الاعتبار.

وتعود أسباب الإرهاب إلى صراع القيم أو المصالح فالجماعات المختلفة وبسبب اختلاف مصالحها وتضاربها ، يجدون أنفسهم في مواجهة بعضهم لبعض . وعندما تتبلور حالة المواجهة إلى شكل صراع فإن المشكلة الاجتماعية توجد وتحدد كمشكلة اجتماعية .[٥٣]

بينما انطلقت النظرية الوظيفية من مسلمات اجتماعية تتمحور حول دور الوظائف الاجتماعية في المحافظة على التوازن والاستقرار والاندماج الاجتماعي. [٥٤]

ويمكن إيجاز فكرة النظرية بكون المشكلات تظهر نتيجة خلل في النظام العام وطبقاً لهذه النظرية فإن المشكلات الاجتماعية تمثل حالة سلبية من أجزاء النسق المختلفة (الاجتماعي ، الاقتصادي ، الثقافي) وهي في النهاية تمثل حالة اختلالات وظيفية ، بمعنى عدم مقدرة أجزاء النسق على القيام بالوظائف المطلوبة[٥٥] .

تظهر المشكلات الاجتماعية نتيجة خلل في البناء المعياري والقيمي المجتمعي ، يرى رواد النظرية الوظيفية أن اختلال النظام المعياري ألقيمي يحدث نتيجة عدم مقدرة البناء الاجتماعي على أداء الأدوار الأساسية وايضا فقدان حالة الإجماع والاندماج المجتمعي وضعف المواجهات الإدراكية والمعرفية والمتمثلة في قواعد المعايير وتراجعها عن أداء دورها المجتمعي . ويمكن القول ان الخلل في الأبنية المعيارية والقيمية المجتمعية يؤدي إلى ظهور الإرهاب طبقاً لهذه النظرية[٥٦] .

ويمكن القول إن الجذور الفكرية لهذه المدرسة تعود إلى آراء المفكر العربي عبد الرحمن بن خلدون ، ووضع دوركايم القواعد المنهجية والموضوعية للنظرية الوظيفية وذلك من خلال مساهماته المشهورة ، بينما حدد تالكوت بارسونز في مؤلفه بنية الفعل الاجتماعي إعلام الأساسية للنظرية[.

بينما انطلقت النظرية الصراعية من مبادئ اللامساواة الاجتماعية في تحليل المشكلات الاجتماعية . وتعود جذور النظرية الصراعية إلى المفكر كارل ماركس والذي ارتكز في تحليلة للنظام الاجتماعي على مبدأ هيمنة الصراع الاجتماعي الطبقي ، ويرى ماركس أن تاريخ المجتمعات الإنسانية يمثل الصراع بين الطبقات الاجتماعية وذلك ضمن جدلية ديالكتيكية وصيرورة تاريخية .

وتستند الصراعية إلى مجموعة من المتغيرات منها المصالح بين الأفراد والقوة كمحور للعلاقات الاجتماعية والحتمية الثقافية والفكرية من قبل الطبقات المستغلة والتي تحاول فرض إرادتها ومتجهاً على باقي الطبقات الاجتماعية وذلك لتحقيق مصالحها واهتماماتها .[٥٧]

ويرى رنبزر أن هذا النظام المبني على أساس الالتزام والامتثال والطاعة يعبر عن حالة القهر المجتمعي وهو نظام هش وقابل للانفجار المجتمعي[٦٩] وتنطلق الصراعية في تحليل المشكلات الاجتماعية مثل الإرهاب من مبدأ اللامساواة وعدم التكافؤ بين أفراد المجتمع ، وأيضا الاستغلال الطبقي ، وعلى سبيل

المثال يرى رواد هذا الاتجاه أن ارتفاع معدل الجريمة في المجتمعات المعاصرة يعبر عن حالة اللامساواة والتطور اللامتكافئ في المجتمعات المعاصرة وهذا بدوره يؤدي إلى ظهور الإرهاب .[٥٨]

في حين تتمحور النظرية الانحرافية حول الخروج عن المعايير والمثل المجتمعية في تفسيراتها للمشكلات الاجتماعية ومنها مشكلة الارهاب.ويمكن القول ان جذور النظرية الانحرافية تعود إلى فكرة الانومي فقدان المعايير عند دوركايم ، ويرى ان حالة الانومي تعود إلى تصدع او فقدان معايير نتيجة حالة جبرية تقسيم العمل في المجتمع ، وانتقال المجتمعات الآلية إلى مجتمعات عضوية صناعية متقدمة ، يفقد النظام الاجتماعي معايير اجتماعية وادوارا ووظائف اجتماعية وبالتالي فإن فقدانها يؤدي إلى حالة من الاغتراب المجتمعي .

وطبقاً لهذا المدخل فإن المجتمعات التقليدية تكاد تكون معدومة او مفقودة المشكلات الاجتماعية فيها بسبب قوة الضبط المجتمعي . وفي المجتمعات المتقدمة فإن معدل الانحراف وتنوع المشكلات الاجتماعية يزداد بسبب حالة الانومي او فقدان الضوابط الاجتماعية كقوة المعايير وغياب القهر والالتزام المجتمعي .

بينما عالج مسألة الانحراف عالم الاجتماع الأمريكي روبرت ميرتون وذلك من خلال مفهوم اللامعيارسة والتي تظهر نتيجة تراجع قوة المعايير الاجتماعية كضوابط خارجية للانحراف والتفكك الاجتماعي ، ويرى ميرتون ان الانحراف يحدث نتيجة التفكك الاجتماعي وذلك نتيجة اختلاف وتقارب الأهداف والوسائل المقبولة اجتماعياً وخاصة المتصلة بأنماط التكيف مثل حالة الامتثالية والإبداعية والانسحابية والشعائرية[٥٩] .

لذا تفسر النظرية الانحرافية المشكلات الاجتماعية ومنها الإرهاب من ان يمتثل أغلبية الناس إلى المعايير الاجتماعية معظم الوقت ، ولكن بعض الناس ينتهكون معايير رئيسية ومهمة وهذا الانتهاك يعد من قبل غالبية المجتمع كمشكلة اجتماعية كونها تخدش قيم الثقافة المجتمعية السائدة وتعارض التوقعات الاجتماعية الطبيعية [٦٠] .

في حين انطلقت نظرية التفاعل الرمزي من مفهوم الأزمة في تحديد المشكلات الاجتماعية ، وأيضا من مفهوم دنيا المعاش الذي يتضمن فقدان المعايير المتصلة بالتنشئة الاجتماعية والشخصية الثقافية . ان التفاعلية الرمزية ترى أن الفرد يمثل محور العلاقة الأساسية بين الجماعة والمجتمع وعليه فإن المشكلات الاجتماعية ضمن هذا الإطار النظري تفهم ضمن الفرد وأفعاله وعلاقة ذلك بالنظام المجتمعي ، ويطلق على هذا الاتجاه علم اجتماع الوحدات الصغرى[٦١]. وان نظرية التفاعلية ومن خلال النظريات المتعددة والتي طرحت من خلال روادها وخاصة كولي عن الجماعات الأولية كالأسرة والأصدقاء يمكن تطبيقها على المشكلات الاجتماعية وذلك كآليات لمنع وقوعها والتصدي لها .

وتسهم هذه النظرية كأطر نظرية في العلوم الأمنية والشرطية وخاصة على الاجتماع الشرطي والشرطة المجتمعية، باعتبارها جماعة أولية لحماية المجتمع من المشكلات الاجتماعية ومنعها ، وخاصة مشكلات الأسرة ونشر الوعي والثقافة الأمنية داخل المجتمع المحلي[٦٢] .

بينما تركزنظرية الراى العام حول دراسة الجوانب الإدراكية لتحليل وفهم الإرهاب ، ويعد جرم مانز المؤسس لنظرية الرأي العام في تحليل المشكلات الاجتماعية والتي تعاني منها المجتمعات المعاصرة. ويرى مانز ان الرأي العام يعد آلية علمية مناسبة لدراسة المشكلات الاجتماعية في المجتمعات المدنية المعاصرة كونه يتح للأفراد التعبير عن آرائهم حول المشكلات التي يرونها ويرى مانز انه من خلال مدخل الرأي العام

نستطيع التعرف على طبيعة المشكلات الاجتماعية من الشرائح والفئات الاجتماعية المختلفة وأيضا فإن هذا المسح النظري يزود الباحث بمعرفة نظرية وتطبيقية حول المشكلات و فهم جوهرها[٦٣] .

ويمكن القول أن مدخل الرأي العام يعد مقياساً لدراسة المشكلات الاجتماعية من منظور امني وذلك للوقوف على طبيعة المشكلات الاجتماعية مثل الإرهاب والعنف وغيرها من المشكلات ذات الطابع الأمني .

يعد أدور نوه وماركوزه دهيرماس من أشهر رواد هذه النظرية ، أما النظرية **النقدية** فقد انطلق تحليله للظواهر والمشكلات الاجتماعية من المقولات الهيكلية واظهر إسهامات ماركو زه في كتابه (الإنسان ذو البعد الواحد) المشكلات التي يعاني منها الفرد في المجتمعات المعاصرة ، بينما حدد هيرماس في مؤلفه (الأزمة الشرعية) التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية وحدد طبيعة الأزمة كتشكيل اجتماعي[٦٤] .

ويرى هيرماس ان المجتمعات المعاصرة ومجتمعات ما بعد الحداثة تعاني من مشكلات وأزمات ثقافية بسبب اختلال البناء الثقافي والمرتكز على متغيرات الثقافة الشخصية والتنشئة الاجتماعية ، وفي مؤلفه المشهور " نظرة العقل المتصل " حدد هيرماس طبيعة المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية الراهنة وأطلق عليها الأزمات ومصدرها هو تراجع البنية الثقافية والمتمثلة في ضعف التنشئة الاجتماعية والشخصية وأطلق عليها (استعمار دنيا المعاش) ودنيا المعاش تمثل البنى الفوقية للمجتمع والمتمثلة في بناء الشخصية والتنشئة الاجتماعية والثقافية المجتمعية[٦٥] .

وعليه وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن هذه النظريات قد انطلقت في تفسيرها للمشكلات الاجتماعية وخاصة الإرهاب من منطلقات تتمثل في التفسير والتحليل النظري لطبيعة وجوهر المشكلات الاجتماعية ، من خلال وجود تيارات اجتماعية علمية متباينة في تحليل بنية المشكلة الاجتماعية كالإرهاب ولعل هذا يعود إلى العامل الفكري والمجتمعي في فهم بنية المشكلة الاجتماعية . وكذلك اتجاه هذه النظريات من منطلقات منهجية تمثل الآلية التي تستطيع من خلالها قياس حجم الظاهرة الإرهابية وأثرها على البنية الاجتماعية.

رابعا : العوامل المؤدية لارتكاب جريمة الإرهاب الدولي

١ـ العوامل الدينية

الملاحظ ان السياسة الاستعمارية في ظل نظام القطب الواحد ، كانت قد ركزت على العامل الديني كسبيل للنيل من الدول والشعوب والتمكن منها ، بعد ان فشلت في اختراقها من منافذ أخرى ولا أدل على ذلك من نشوب العديد من النزاعات الدينية والمذهبية منذ تسعينات القرن العشرين حتى الآن ، من ذلك الحرب الأهلية في يوغسلافيا والتي خلفت آلاف الضحايا من المسلمين في البوسنة والهرسك على يد الصرب .

وفي أعقاب حرب الخليج الثالثة واحتلال العراق من قبل الولايات المتحدة (٢٠٠٣) فقد وجدت أرضاً خصبة لمثل هذه الفتنة وحاولت الولايات المتحدة ومن خلفها باقي القوى الاستعمارية إذكاء نار الفتنة الطائفية بين الشيعة والسنة لولا تدخل العقلاء من رجال الدين الذين كثيراً ما حذروا من نار فتنة طائفية .

ومن الملاحظ أيضا أن الولايات المتحدة كانت قد مهدت لأسلوبها الجديد في استعمار البلدان والشعوب والتدخل لأسباب دينية بجانب تشريعي يضفي على عملها العدواني هذه الصفة الشرعية ، اذ اصدر الكونغرس عام ١٩٩٨ تشريعاً يخول الولايات المتحدة صلاحية فرض عقوبات اقتصادية وعسكرية ودبلوماسية على الدول التي تمارس الاضطهاد الديني ضد بعض الطوائف والأقليات والأديان[٦٦] .

ونرى ان إصدار مثل هذا القانون لا ينبأ إلا عن مزيد من التدخل الأمريكي في الشؤون الداخلية للدول، اذ ما من دولة في العالم إلا ويعاني شعبها من بعض الخلافات في وجهات النظر الدينية ، لكن مثل

هذه الخلافات لا تتم عن نزعة عدوانية بين الأديان ، انما خلافات لا تفسد للود قضية إلا اذا أريد لها ان تكون وسيلة لإذكاء نزعات وحروب أهلية وهو ما تسعى اليه جاهدة بعض الدول الاستعمارية وفي مقدمتها الولايات المتحدة .

وفي رأينا ان المشروع الأمريكي كان قد حقق بهذا القانون أهدافاً ذات أهمية بالغة ربما من أبرزها خلط أعمال المقاومة الشرعية بالعنف ووسم الاثنين بصبغة الإرهاب إذ من الصعب ان لم يكن من المستحيل الفصل بين الاثنين ولاسيما في البلدان التي تعيش حالة من الفوضى والاضطراب الأمني ، فتتحول المقاومة الشرعية إلى إرهاب ويتحول عنها الرأي العام بدلاً من الوقوف إلى جانبها ومساندتها ، ومثل هذا مايحدث هو في العراق اذ اختلطت أوراق المقاومة الشريفة بالإرهاب الوافد من الخارج بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية وهو ما زاد الأمر صعوبة على صعوبته ومنح قوات الاحتلال مسوغا إضافيا للبقاء في العراق والمنطقة(٦٧)

٢ـ العوامل السياسية

تكاد العوامل السياسية تكون واحدة من أهم أسباب ظاهرة الإرهاب وتناميها ، وتقسم هذه الأسباب بدورها على نوعين داخلية وخارجية وربما كانت الخارجية هي وليدة الأسباب الداخلية فالقهر السياسي الداخلي غالباً ما يدفع الأفراد والطوائف المضطهدة التي لا تستطيع التعبير عن آرائها إلى العنف كسبيل للثأر لنفسها والنيل من عدوها .

والذي بهمنا في مجال هذا البحث هو الظاهرة على الصعيد الدولي فلابد من التمييز بين الدور الذي مارسته الدول الكبرى في تنمية ظاهرة الإرهاب والدفع بها لتكون المشهد الأبرز في مسرح الأحداث ، وبين الدور الذي لعبته التنظيمات الدولية في ذلك .

فمنذ مطلع القرن العشرين حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، كانت العلاقات الدولية قائمة على أساس التعددية القطبية ، فلم تنفرد دولة بعينها بالتحكم بمصير ومقدرات الشعوب وان تقاسمت النسب على العالم آنذاك دول محددة كبريطانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقاً ، وفي ظل هذه التعددية القطبية لم يكن الإرهاب ظاهرة مميزة في مسرح الأحداث وبانتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت بوادر الثنائية القطبية تظهر كبديل للتعددية القطبية ، حيث تقاسمت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقاً الهيمنة على العالم وتراجع الدور الفرنسي البريطاني ، اما ألمانيا واليابان فقد غدت أسيرة مقررات مؤتمر سان فرانسيسكو .

ومع ظهور الثنائية القطبية بدأ الإرهاب يبرز أكثر من ذي قبل حيث بدأت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يتقاسمان الهيمنة والتحكم بمصير الدول والشعوب الأمر الذي دفع كل قطب إلى التفاوض عن تجاوزات الآخر رغبة في موقف يماثله في المستقبل(٦٨) .

ولنا في المواقف التي اتخذها الاتحاد السوفيتي تجاه القضايا العربية خير مثال على ذلك حينما كانت الولايات المتحدة لا تأهب لأحد في تجاوزاتها ضد العرب مباشرة او من خلال دعم الكيان الصهيوني .

وبانتهاء الثنائية القطبية وظهور الأحادية القطبية بدلاً عنها ، برز الإرهاب باعتباره احد مميزات النظام العالمي الجديد ، حيث لم تعد الولايات المتحدة من الناحية الظاهرية تأبه لأحد من الدول او القوى ، وبدأت عهدها الجديد باحتلال أفغانستان ومن ثم العراق وقبلها عملت الولايات المتحدة على استصدار

قرارات عن مجلس الأمن تقضي بفرض إجراءات حظر اقتصادي هي الأقسى في تاريخ المنظمة الدولية حيث استمرت إلى تاريخ سقوط نظام الحكم في العراق واحتلال الأمريكان للعراق في ٩ نيسان ٢٠٠٣ .

وفي عام ١٩٩٨ فرض مجلس الأمن بتأثير من الولايات المتحدة ايضا حظراً جوياً على ليبيا على اثر اتهامها لحادث تفجير الطائرة الأمريكية في أجواء لوكربي واستمر هذا الحظر لمدة تجاوز الست سنوات تراجع خلالها الاقتصاد الليبي بشكل ملحوظ .

وفي أعقاب أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ أعلنت الولايات المتحدة عن قائمة جديدة ضمت دول محور الشر في العالم ، ومن بين الدول المدرجة على هذه القائمة العراق وإيران وسوريا وليبيا والسودان وكوريا الشمالية، وكانت هذه القائمة قابلة للزيادة بشكل مستمر حسب تقاطع سياسات الدول مع سياسة ومصالح الولايات المتحدة .

وفي أعقاب اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري في شباط ٢٠٠٥ واتهام سوريا بالتورط بهذا الحادث ، هددت الولايات المتحدة باستخدام القوة ضد سوريا او فرض إجراءات اقتصادية بحقها في أحسن الأحوال وجاء هذا التهديد قبل إدانتها رسمياً او ثبوت تورطها بهذه الجريمة .

ومثل هذا التهديد وجهته الولايات المتحدة لكل من كوريا الشمالية وإيران في أعقاب اتهامهما بتخصيب اليورانيوم لأغراض عسكرية[٦٩] .

اما على صعيد التنظيمات الدولية ، فقد أسهمت هذه التنظيمات بشكل فعال في إنماء ظاهرة الإرهاب على خلاف الغاية التي من اجلها أنشئت هذه التنظيمات – فقد انشئت عصبة الأمم في أعقاب الحرب العالمية الأولى بناء على دعوة بعض الدول المنتصرة في الحرب (فرنسا- بريطانيا – الولايات المتحدة) وكان من المقرر أن يكون هذا التنظيم وسيلة لنزع فتيل الأزمات السياسية التي من شانها إشعال نار الحرب ، واثبت الواقع إن هذه المنظمة قد فشلت فشلاً ذريعاً في تلك المهمة بفعل انقسام الدول دائمة العضوية في مجلس العصبة إلى قسمين ، ضم الأول (بريطانيا – وفرنسا) وضم الثاني كل من (ألمانيا وايطاليا واليابان) وأصبح هذان القطبان فيما بعد أقطاب الحرب العالمية الثانية ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية، تعالت أصوات الدول الكبرى المستقرة في الحرب من اجل إيجاد تنظيم دولي جديد يحل محل التنظيم المنحل فكانت الأمم المتحدة التي هي من المؤكد ليست بأحسن من سابقتها[٧٠] .

وعلى حد سواء مع العصبة أو الأمم المتحدة بدا الخلل جلياً على ميثاق الأمم المتحدة في مواضيع عدة ربما كان من أبرزها حق الفيتو الذي فسر طبقاً بحق النقض .

وإذا كانت الأمم المتحدة بعد نصف قرن من إنشائها فشلت في انجاز المهام التي أنشئت أصلاً من اجلها ، فإن واحد من أهم أسباب فشلها على الإطلاق ، هو حق الفيتو ، اذ كان استخدام هذا الحق غالباً إن لم نقل عموماً مراعاة لمكاسب سياسية ويكفي للتدليل على ذلك ، ان الولايات المتحدة مثلاً لجأت منذ تأسيس المنظمة حتى الى اليوم استخدام هذا الحق في مواجهة القرارات الصادرة ضد إسرائيل (٢٥) مرة ، الأمر الذي دفع إسرائيل إلى التمادي في استخدام القوة ضد الفلسطينيين غير آبهة بما قد تتخذه المنظمة من إجراءات لأنها أمنت جانب الولايات المتحدة وبالتالي فإن أي قرار ضار من المحال ان يصدر بحقها .

على ذلك نرى ان الدور الذي مارسته الأمم المتحدة من الناحية الفعلية في إذكاء نار العنف والإرهاب، لا يقل عن الدور الذي مارسته القوى العظمى في مواجهة الدول والشعوب المقهورة ، على الرغم من الجهود التي بذلتها هذه المنظمة من اجل الحد من ظاهرة وتناميها[٧١] .

٣ـ العوامل الاقتصادية

من المتفق عليه أن ليس للاستعمار صورة واحدة ، ولكن له غايات مشتركة تتمثل من نهب ثروات الشعوب وإذلالها ، بوسائل متعددة مرة بالقوة العسكرية وأخرى بالتبعية الاقتصادية وثالثة بالعقوبات وهكذا . وبعد صدور قرار الجمعية العامة في ١٤ كانون الثاني ١٩٦٠ القاضي بتصفية الاستعمار بكل أشكاله وصوره اتخذ الاستعمار طابعاً اقتصادياً ، فأخضعت الشعوب والدول ومواردها الاقتصادية لهيمنة الدول الكبرى تحت ذريعة مد يد العون للدول الأقل تطوراً او ناقصة التطور للنهوض وارتقاء بها .

واذا ما نظرنا إلى الصراعات العرقية والحروب الأهلية التي أصبحت الظاهرة المميزة خلال العقد الأخير من القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين لوجدنا أن من يقف وراء إذكائها هي الدول الكبرى الغنية سواء من خلال إشعال نار الفتنة او مد أطرافها بالسلاح والمؤن العسكرية[٧٢] .

لقد انتهى الاستعمار بثوبه الجديد (الاستعمار الاقتصادي) إلى خلق هوة شاسعة بين الدول الغنية والفقيرة او التي قدر لها ان تكون كذلك ، فأصبح العالم قسمين غنياً مترفاً وفقيراً معدماً ، ويكفي للتدليل على ذلك ما أشار اليه رئيس البنك الدولي للإنشاء والتعمير من ان الدول الصناعية هي تمثل ربع سكان العالم تحصل على أكثر من ثلاثة أرباع الثروة العالمية ، في حين ان الدول النامية التي يمثل سكانها ثلاثة أرباع العالم لا تحصل إلا على اقل من ربع هذه الثروة[٧٣] .

ونتيجة لهذه الهوة الشاسعة بين الدول الغنية والفقيرة وما تنتهي اليه من إذكاء كراهية مشروعة للدول الغنية ، تعالت الأصوات المطالبة بإعادة النظر في النظام الاقتصادي الدولي القائم الذي يكرس الظاهرة الاستعمارية بأسلوب جديد حيث طرحت هذه المسألة على النقاش في الدورة الطارئة للجمعية العامة سنة ١٩٧٤ والتي اصدر فيها الموافقة على الإعلان الخاص باستحداث نظام اقتصادي جديد[٧٤] .

لكن الدول النامية وبعد جهد جهيد تمكنت من كشف المخطط الاستعماري بثوبه الجديد ، فعملت بخطوات متباطئة للخروج منه ، من خلال محاولاتها اللحاق بركب التطور العلمي ، الأمر الذي دفع الاستعمار لإيجاد حلول بديلة ، ولكن هذه المرة تحت مظلة الأمم المتحدة ، فقد بدأت القوى الكبرى تتخذ من تدابير الحظر الاقتصادي المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة وسيلة للضغط على الدول النامية الغنية كسبيل لنهب خيراتها وثرواتها وهذا ما يفسر التدبير المضطرد كحالات فرض الحظر الاقتصادي على الدول الغنية او التلويح بذلك ، ففرض مجلس الأمن بضغط أمريكي حظراً اقتصادياً على العراق في أعقاب دخول العراق في الكويت وبعدها اتهام ليبيا بحادثة الطائرة (لوكربي) فرض عليها حظرا جويا دام أكثر من ست سنوات ولم يرفع الحظر إلا بعد قبول ليبيا تعويض اسر الضحايا ، وفي أعقاب اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري واتهام سوريا بهذا الحادث عادت الولايات المتحدة إلى التلويح بالتدابير الاقتصادية اذا لم تتعاون سوريا مع لجنة التحقيق الدولية برئاسة الألماني (دتلف ميلس)[٧٥]

والملاحظ ان الولايات المتحدة ما لبثت ان حققت النجاحات المتلاحقة في إخضاع الشعوب لإرادتها كلما هددت باستخدام عصا التدابير الاقتصادية متخذة النموذج العراقي خير مثال وعبرة لكل الدول التي تسول لها نفسها مخالفتها وكما يفعل الآن مع إيران وقضية فرض العقوبات نتيجة مفاعلها النووي ، وقبلها فرض الحصار الاقتصادي والتجاري الذي تفرضه على كوبا والتي رفضه كل الأعضاء في المنظمة الدولية .

من هنا نرى أن كل الدول قد تلتمس لها العذر في قبول الخضوع للاستعمار الأمريكي بثوبه الجديد، ويبدو ان الدول الكبرى دائمة العضوية في مجلس الأمن كانت قد تنبهت لاحتمالات إساءة استعمال التدابير الواردة في الفصلين السادس والسابع من الميثاق . فسعت جاهدة لتوظيف نصوص الميثاق خدمة للدول

الأعضاء في المنظمة لكنها فشلت في ذلك بفعل قيد الولايات المتحدة على المنظمة الدولية حديثة النشأة آنذاك ١٩٤٥ .

مع ذلك لم تعتبر الأمم المتحدة الضغوط الاقتصادية او التهديد بها من قبيل أعمال العدوان او الأعمال الإرهابية التي يمكن ان تلجأ اليها الدول الكبرى في مواجهة الدول الغنية او التي أريد لها ان تكون فقيرة وفي رأينا ان ذلك حضور يسجل على المنظمة الدولية التي من بين أهم أهدافها المحافظة على الأمن والسلم الدوليين ، اذ كان الأولى بها الإشارة صراحة في قراراتها إلى ان اللجوء لغرض حظر اقتصادي او التهديد به دون وجه حق او خارج إطار المنظمة الدولية يعد إرهاباً منظماً واستعماراً مبطناً لاسيما وان وسائل الإرهاب والاستعمار لا تبقى على حالها كسائر الأحوال الأخرى ، فهي الأخرى تتأثر بما يطرأ على العالم من تطور ، ومن المؤكد ان موجة الإرهاب الدولي التي تجتاح العالم تقف وراءها أسباب اقتصادية إلى جانب الأسباب الأخرى[٧٦].

٤ـ العوامل الفكرية

للعامل الفكري دور مهم في تفعيل الأعمال الإرهابية أيضا ، وله تاريخ طويل وان الإرهاب الفكري له صلة بنوعية النظام الرأسمالي او الاشتراكي ، وقد يقوم الصراع بين مؤيدي كل من النظامين ، وتنشيط ثقافة الكراهية بين العالم الإسلامي والغربي بعد التسعينات من القرن الماضي خصوصاً ، ومحاولة كل فريق الوصول إلى التفوق الأيديولوجي ، وهذا أدى إلى تبادل الإرهاب الدولي إبان الحرب الباردة والى الصراع بنهاية التاريخ وصراع الحضارات بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، وقد يقوم الصراع بين مؤيدي نظام معين ونظام آخر[٧٧] .

ومن ناحية أخرى عدم تقبل قيم من قبل شعوب تنتمي إلى حضارات أخرى سيؤدي إلى تشكيل حالة من التحدي لتلك القيم وبالتالي محاولة فرض القيم عن طريق القوة أي احتمال اندلاع تصادم حضاري من النوع الذي أشار اليه (هنتنغتون)[٧٨] ولأن ثقافة المجتمعات الصناعية هي التي تسيطر على العالم عن طريق نموذج من التفكير التي تدعي ان كل الأفكار التي هي خارجة من تفكيرها لا تستند ولا تدعم من قبل العلوم المادية التي هي أحسن ما يمتلكه العالم لحد الآن ، على حد قول البروفيسور عبد العزيز سعيد ، وبذلك فإن على شعوب العالم أن تصبح غربية اذا أرادت ان يكون لها دور في اللعبة ولكنه لا يمكن ان يؤخذ هذا التصور على إطلاقه حيث قيم الحضارة الغربية ما زالت تعاني من عدم تقبل شعوب مختلفة لها وتبنيها لمبادئها ، ان هذه الشعوب تنتمي الى حضارات أخرى ، فإن لها قيمها ومبادئها وأفكارها ، وبالتالي فإنه لا يمكن فرض قيم خارجة على تقاليدها وتراثها الحضاري والفكري عليها .[٧٩]

ومن صور الإرهاب الأيديولوجي والذي يرى فيه صاحب الفكرة بأن عنصراً او جنساً او طائفة او أقلية ما هي إلا الاسمى والأكثر تحضراً او تمدناً وبضرورة سموها فوق غيرها من الأجناس ، ومن ابرز ملامح هذا الإرهاب هو التمييز العنصري بين الأسود والأبيض ، وقد تسارع هذا النوع من الإرهاب في عصور مختلفة وأماكن عديدة من العالم[٨٠] .

وقد شهدت أمم كثيرة مثل هذا النوع من الإرهاب الأعمى وأبيد مئات الألوف من البشر بسبب ذلك ومن ابرز الجماعات التي مارست هذا النوع من الإرهاب (جماعات الكلولكوس كلان) الأمريكية ضد السود ، وكذلك اضطهاد الهنود الحمر في أمريكا وإبادة الكثير منهم ، إضافة إلى نازية هتلر التي كانت تنظر

بالاحتقار إلى كل الأجناس ما عدا العرق الجرماني الأبيض الذي هو الأسمى والأجدر بالحياة وبناءً على هذه الأيديولوجيا مورست عمليات إرهابية كبيرة ومخيفة [٨١] .

ولعل إرهابا من دولة كبرى متسلطة على غيرها من الدول والشعوب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية على كثير من شعوب الدول بحجة نشر الديمقراطية والحرية ، وكذلك الممارسات الإسرائيلية في فلسطين هي من خير الشواهد على الإرهاب العنصري الذي تمارسه الدول ضد الشعوب ، فهي تمارس التعذيب والاعتقال والتشريد والحصار والتجويع والطرد والتخريب والهدم للبيوت ونشر الذعر والخوف ... الخ من الممارسات العنصرية التي ترفضها كل القوانين الدولية والإنسانية في العالم .

وليس أدل على ذلك عندما صرح وبصراحة احد السفراء الأمريكان السابقين في احد دول الامريكا اللاتينية في تحديد الإرهاب عندما قال إذا فعلوها هم كان ذلك إرهابا ،أما إذا فعلناها نحن فان ذلك يصبح نضالا من اجل الحرية.

وواضح ان في هذا الكلام نظرة تمييز عنصرية وتعبير عن الإحساس بالتفوق الحضاري والخصائص وهذا بالطبع لتبرير أعمال غير مقبولة وغير مشروعة

وإذا تحرينا سجل الإرهاب الأمريكي،نستطيع أن نسجل العديد من العمليات الإرهابية التي اقترفتها الإدارات الأمريكية في الشؤون ا لداخلية للدول الأخرى تتراوح مابين التحريض إلى التآمر والتواطؤ فالمشاركة المباشرة في معظم الأحيان شملت اليونان ولبنان والدمينيكان وفيتنام وكوريا وإيران وكوبا والكنغو...الخ وكاد بعضها أن تكون مقدمة لنشوب حرب عالمية نووية.[٨٢]

٥ـ عوامل أخرى:

١- عدم قدرة منظمة الأمم المتحدة على تحقيق أهدافها وتطبيق مبادئها الهادفة لوضع حد لكل أشكال الاستعمار، والظلم ، والاضطهاد ، والعنصرية وبالتالي عدم قدرتها على ضمان حقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

٢- عدم قدرة الأمم المتحدة على إقامة تعاون دولي جدي ، وحسم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للدول عن طريق النمو ، والتقليل من الهوة السحيقة بين الدول الفتية الدول الفقيرة ، وتحقيق مستوى حياة أفضل للغالبية العظمى من الشعوب بكرامة وبشرف .

٣- عدم قدرة المنظمة على إيجاد تنظيم عادل ودائم لعدد من المشاكل الدولية مثل اغتصاب الأراضي والنهب والظلم والاضطهاد وهي حالة لكثير من الشعوب وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني .

٤- عدم قدرة المنظمة على تطبيق الحلول المتبناة بالإجماع او بالأغلبية بفرض عقوبات ضد الدول المعتدية على دول أخرى او ضد الدول التي تنتهك قواعد القانون الدولي ، الأمر الذي يشجع هذه الدول على التمادي في أعمالها وارتكاب أعمال أخرى جديدة من ناحية ويصعد من مواجهة هذه الأعمال من جهة أخرى .[٨٣]

خامساً : انعكاسات الإرهاب على النظام العالمي الجديد

ان من اخطر وأبشع الجرائم التي انتشرت في عالمنا المعاصر هي جريمة الإرهاب الدولي التي أصبحت عالمية الطابع ، وتعاني من ويلاتها شعوب العالم بدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة ، وخاصة في عصرنا المعولم الذي اكتسبت بعداً جديداً من حيث اتساعه وتأثيره، حيث ساعد على اطلاع الشعوب على ما

يجري في العالم من أحداث ومستجدات ، ومن بينها الإرهاب الدولي الذي نال حصته من هذا الاهتمام العالمي[٨٤] .

ان احد المبادئ المسلم بها في الفقه والقضاء الدوليين المعاصرين يتجلى في ان الإرهاب يعد عملاً من أعمال العنف يتسم بالوحشية المفرطة والبربرية العمياء ، وبما يبثه من رعب في النفوس يتعدى حدود رقعة جغرافية معينة او حدود إقليم دولة محددة ، وقد تفاقمت ظاهرة ارتكاب الأعمال الإرهابية في السنوات القليلة الماضية وعلى نحو مختلف متخذة أشكالاً وصوراً عدة حتى بدأ التخوف من أن ينعت قرننا الحالي بـ (قرن الإرهاب). ويعد الإرهاب شكلاً من أشكال العنف الذي يلجأ إليه بعض الأفراد او المنظمات او الدول او الكيانات ويتخذ صورا متعددة كالقتل بأبشع صوره وغيرها من الجرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة وجرائم الحرب وبوسائل وأدوات مختلفة كاستخدام القوة العسكرية في التدخل بشؤون الدول واخطر احتمال استخدام أسلحة الدمار الشامل .

ويكون الإرهاب وسيلة لتحقيق أهداف غالباً ما تكون سياسية ، وعليه فإن الإرهاب يشكل انتهاكاً صارماً لحقوق الإنسان وللشرعية الدولية والقواعد القانونية من جهة ، القواعد العرفية والدينية من جهة أخرى ، ويؤدي إلى إثارة الرعب والخوف والفزع في النفوس بين عامة الجمهور او جماعة من الأشخاص والمعنيين ، ويشكل هذا تهديداً للأمن والسلم الدوليين ، ويعرض الاستقرار الداخلي والدولي والحضارة البشرية والعلاقات الودية بين الأمم والدول للخطر[٨٥].

وأصبح الإرهاب اليوم سلاحاً تستخدمه بعض الدول كبديل للحروب التقليدية ، في صراعها واندفاعها نحو تحقيق مصالحها وأهدافها الإستراتيجية ، بغض النظر عن مدى مشروعية الوسائل المؤدية إلى ذلك وتلجأ أحياناً إلى ارتكاب أعمال إرهابية بطرق مباشرة وغير مباشرة من اجل تحقيق أهدافها .

فأزمة ضمير وأخلاقيات النظام السياسي الدولي ، الذي يتجسد فيما هو موجود في المواثيق الدولية ، من مبادئ وقيم إنسانية ومثاليات سياسية رفيعة ، وبين ما ينم عن سلوكيات العقلية التي قد تصل إلى مستوى التنكر العام لكل تلك القيم والمثاليات ، تظهر ممارسات الإرهاب الدولي ، ليس كعنف مجنون ولا وجهة له ولا هدف ، بل كصرخة احتجاج على التناقض الصارخ بين القول والفعل ، كالصمت الصارخ لانتهاك حقوق الشعوب وحقوق الإنسان وارتكاب الجرائم الدولية[٨٦] .

ان الضعف الدولي في الرد على المخالفات والانتهاكات التي تتعرض لها مواثيقه بعقوبات دولية شاملة ورادعة وسياسية المعايير المزدوجة في العلاقات الدولية وفي التعامل مع القضايا العالمية الساخنة ، يفتح المجال أمام الإرهابيين وتشجيعهم لانتهاك قواعد القانون الدولي والاعتداء على سيادة الدول ومصالحها المشروعة بالتهديد والتشهير والابتزاز والقتل وغيرها . هذا التخاذل وعدم تعاون المجتمع الدولي سوف ينتهي بكارثة دولية لا حدود لها[٨٧] .

واللافت للنظر ان إرهاب الدولة لم يقتصر على الكيانات القزمية التي تعجز عادة عن تحقيق أهدافها بالوسائل الدبلوماسية او المواجهة العسكرية كالكيان الصهيوني ، بل امتد إلى اكبر الدول وأكثرها قوة من الناحيتين العسكرية والدبلوماسية كالولايات المتحدة الأمريكية فاتخذ من الشرعية الدولية ستاراً لها في التدخل في شؤون الدول والاعتداء عليها بل حتى احتلالها كما جرى في أفغانستان والعراق ٠٠٠٠ الخ .

وربما كان تغاضي المجتمع الدولي عن الخوض في جريمة الإرهاب الدولي راجعاً إلى انها غالباً ما ترتكب من قبل الدول الكبرى ذات التأثير السياسي الكبير في المسرح الدولي الأمر الذي كان يحول دون اتخاذ موقف حاسم تجاه مرتكبيها وإدانتها .

ومع إقدام المزيد من الدول على اقتراف هذه الجريمة ، تعالت الأصوات الدولية المنادية بإسباغ وصف الإرهاب عليها . كما تم إدراجها للمرة الأولى في مشروع قانون الجرائم المخلة بسلم الإنسانية وأمنها الذي تبنته لجنة القانون الدولي عام ١٩٤٥ ، وصدرت المادة السادسة من هذا المشروع مفهوم إرهاب الدولة (بأنه قيام سلطات الدولة بأنشطة إرهابية او بالتشجيع على القيام بأنشطة إرهابية داخل إقليم دولة أخرى او تغاضي سلطات الدولة على أنشطة منظمة ترمي إلى القيام بأعمال إرهابية داخل إقليم أخرى[٨٨] .

كما أشار إعلان مبادئ القانون الدولي المتعلق بعلاقات الصداقة والتعاون بين الدول ، الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٠ إلى جريمة إرهاب الدولة بحث الدول على ضرورة الامتناع عن أي عمل قسري من شانه حرمان الشعوب من حقوقها الشرعية[٨٩]

لقد أدى ظهور النظام العالمي الجديد إلى بروز زعزعة من التشنج والحدة وبدا يسود مناخ من التشاؤم والخوف الذي قد يكون من الأسباب الرئيسية لحدوث ظاهرة الإرهاب ، وخاصة بعد ان بدأت الولايات المتحدة تسعى إلى فرض هيمنتها وسطوتها على العالم ، (٩٠)ومحاولة تدخلها السافر في الشؤون الداخلية للدول بصورة مباشرة وغير مباشرة وأحياناً بالقوة .

ان هذه الأحداث جعلت العالم يسير نحو أحداث إرهابية أكثر سخونة وأكثر خطورة قد تؤدي بالعلاقات الدولية لى التأزم والتدهور بل الانهيار ، وذلك ان العنف لا يولد إلا العنف ، وخاصة في حالة الشعور بالظلم والتسلط والهيمنة واستغلال المقدرات ونهب الثروات والتدخل في الشؤون الداخلية وفرض الأجندة الخاصة للقوى على الضعيف بالقوة ، وازداد الأمر سوءاً عندما اكتشف العالم ان العدالة الاقتصادية والاجتماعية لم تتحقق وان العالم يزداد فقراً وان الفجوة بين الأغنياء والفقراء تزداد رغم نمو وتقدم الاقتصاد العلمي ورغم انفتاح الأسواق وسيادة قيم العولمة إلا ان الأمر يزداد تفاقماً[٩١] .

يبدو ان الإرهاب الدولي مؤشر أساسي في انتهاك واغتصاب كثير من حقوق الإنسان الأصلية التي ضمنتها الأديان والأعراف والمواثيق الدولية من خلال الشرعية الدولية لحقوق الإنسان وخاصة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ بالإضافة إلى العهدين الخاص بالحقوق السياسية والمدنية .

حيث نلاحظ أن آثار الإرهاب هي نشر الذعر والخوف بين الناس ومما يسببه من تدمير وخراب ، لأن أساليبه وأشكاله المختلفة قد ينتج عنهما دمار المنازل وحرق الممتلكات وإيقاع الخسائر المادية ويدفع الدول والحكومات إلى صرف وإنفاق المبالغ الطائلة والكثيرة على الإصلاح والترميم وهذا بحد ذاته من المؤشرات السلبية الرئيسة على جهود التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مما يعود بالضرر على حقوق الإنسان والانتقاص منها[٩٢] .

ومن انعكاسات الإرهاب الدولي أيضا هو مظاهر الانفلات الأمني العالمي والأوضاع العسكرية والأمنية السيئة التي تهدد العالم بعد انهيار المعسكر الشرقي ، ودعم الولايات المتحدة الأمريكية القوة العسكرية لإسرائيل وسعيها إلى إبقائها متفوقة عسكرياً مما زاد من مظاهرة الانفلات الأمني في العالم ، بالإضافة إلى ما يحدث في العراق وأفغانستان وبعض الدول العربية والبلدان الإسلامية لهو دليل على الدعوة الغربية المعولمة لإجبار العالم كله على السير وفق نظام سياسي واقتصادي وثقافي واحد يتفق مع أهداف ومصالح الغرب[٩٣] .

وبدأ الإرهاب الدولي اليوم يمارس من قبل الدول القوية الاستعمارية على الدول الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة ، وقد اتخذ هذا النوع من الإرهاب مسميات جديدة منمقة ومزركشة بغية التغطية والتمويه على

أفعاله الشنيعة والبغيضة كالدفاع عن حقوق الإنسان ، ونشر الديمقراطية والحرية ، والحفاظ على الأمن والسلم الدوليين ، وتغيير الأنظمة المتسلطة ،والقضاء على الإرهاب ... الخ من المسميات التي شكلت غطاء لاستباحة الدول الضعيفة واستغلال خيراتها ومقدراتها وانتهاك سيادتها بل احتلالها ، كل ذلك باسم الشرعية الدولية وتحت مظلة القوانين الدولية والأمم المتحدة .

ان الإرهاب الدولي التي بدأت تكتوي بناره وتعاني من ويلاته وتنفق مليارات الدولارات للقضاء عليه والتخلص من ناره المشتعلة التي بدأت تحرق الأخضر واليابس ولا تبقى ولا نذر ، ولا احد يعلم نهاية هذا المسلسل العالمي الدامي إلا الله[٩٤] .

وكذلك من تداعيات الإرهاب الدولي الاعتداء على الدول والتدخل في شؤونها الداخلية بما ان القوانين الدولية أقرت حق الدول في استقلالها وسيادتها الداخلية والخارجية ومنعت الدول من التدخل في شؤون بعضها البعض ، ولكن ذلك ليس إلا حبراً على ورق فالقوى الكبرى والعظمى لا يحلو لها بين الحين والآخر إلا إن تتدخل في شؤون الدول الضعيفة والصغرى تحت ذرائع ومسميات مختلفة سبق إن تمت الإشارة إليها خصوصاً ما يتعلق منها بالحفاظ على الأمن والسلم الدوليين والحفاظ على حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية والتعددية السياسية والقضاء على الأنظمة الشريرة والفاسدة ... الخ .

من الحجج التي ليس لها الا العواقب الوخيمة التي تؤدي إلى تدمير البنية الأساسية للنظام الدولي السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، ولعل الأوضاع في بلدنا العراق خير مثال ينبئنا عن ذلك فهناك قتل للأبرياء وتدمير ونهب لخيرات البلاد ونهب لثرواتها وتدمير لتراثها وتاريخها وثقافتها وحضارتها مما أعادها إلى الوراء مئات السنين ، وان التدخل في شؤون الدول ليس له إلا العواقب الوخيمة والتي من اقلها صناعة العنف والتطرف وفتح المجال للجماعات والطوائف والأعراف للانتقام وتصفية حساباتهم وكذلك من تداعيات الإرهاب الدولي أدى إلى إيجاد خلل واضح في ميزان العلاقات الدولية ، وتمر بأزمة أخلاقية أدت وتؤدي إلى اضطراب العالم وخاصة بعد ان عصفت أحداث ١١ أيلول بالولايات المتحدة ، مما اثر على مجرى العلاقات الدولية وجعلها تزداد تأزماً وتشنجاً وخاصة مع ظهور طروحات جديدة تنادي بصراع الحضارات وبنهاية التاريخ وبالشرق الأوسط الجديد وغيرها من المشاريع التي هدفها إيديولوجيا قبل ان يكون سياسياً[٩٥] .

ان كل هذه الأزمات والطروحات والمشاريع ولدت في نفوس الناس في الشرق تحديداً عنفاً وحقداً أكثر من ذي قبل تجاه الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة مما فتح المجال لظهور العنف والتطرف والإرهاب . مما يؤدي ذلك إلى كوارث إنسانية كالتهجير والتدمير والتسلط على الشعوب والذعر والخوف وغيره ، تختلف وتتنوع الأسباب والحجج التي تستخدم كذرائع لصناعة الإرهاب الدولي ونموه من قبل الدول او الأفراد او المنظمات على حد سواء .

ومن تداعيات الإرهاب الدولي ايضا تسلط وهيمنة الاستعمار واستغلال خيرات الشعوب ومقدراتها حيث ان التاريخ الحديث شهد موجات استعمارية غاشمة اتجهت من الغرب إلى الشرق الثري المليء بالخيرات والثروات ولم يكن لهذه الموجات إلا أهداف استقلالية وتسلطية هدفها نهب خيرات الشعوب وثروتها وجعلها مصدراً مهما من مصادر المواد الأولية اللازمة لثورتها الصناعية وبناء اقتصادياتها وقوتها وتحسين أوضاع مواطنيها على حساب الآخرين[٩٦] .

ناهيك عن جعل هذه البلدان سوقاً استهلاكية ضخمة لترويج بضائعها وصناعتها ، فضلا عن الهيمنة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ... وتحويل هذه البلاد تبعاً لها في كل شيء . لقد لعبت هذه الأوضاع والآثار دوراً في قيام حركات التحرر والمقاومة الوطنية والتي لقيت رد فعل عنيف من قبل هذه

القوى الاستعمارية مما جعلها تمارس الإرهاب بكل أشكال ضدها فمن الاعتداء إلى سجن إلى التعذيب إلى القتل إلى الاغتصاب إلى التشريد إلى نشر الذعر والخوف مما ولد الحقد والكراهية لدى الشعوب الضعيفة والذي تطور مع تطور الزمن ليتحول إلى بذور عنف وتطرف ، فكان الاستعمار هو السبب في تكوين بذور إرهاب جديد ما كان ليكون لولا الاستعمار والتسلط الذي فرضه أطماع النظام العالمي الجديد والتي فرضته بالقوة على البلدان في العالم الثالث .

وللإرهاب آثار اجتماعية كبيرة على الإنسان ، وخاصة بعد الظروف الدولية الجديدة وتطور العالم وبلوغه مرحلة العولمة التي تلاشت فيها دور الدولة القومية واختفت منها القيم الأخلاقية السليمة وأصبحت المصالح المادية هي التي تتحكم العلاقات الفردية والجماعية لعبت دوراً مهماً في ترك آثاراً اجتماعية كبيرة ووخيمة التي دفعت إلى زيادة النشاط الإجرامي ودفعت بالعنف والتطرف إلى الظهور والبروز إلى السطح وبقوة[٩٧] .

بدأ انتشار الجريمة في دول العالم وخاصة المجتمعات الغربية عموماً مما يدل على المأزق الأخلاقي والأزمة الروحية التي تعاني منها هذه المجتمعات والتي لاشك تشكل بيئة خصبة ومرتعاً وطريقاً ممهداً نحو الإرهاب والعنف والتطرف ، وفي ذلك نورد قول لأحد قادة لرأي والسياسة في أمريكا وهو المستر (دالاس) وزير خارجية أمريكا الأسبق في كتابه " حرب أم سلام " حيث يقول " ان هناك شيئاً ما يسير بشكل خاطئ في امتنا وإلا لما أصبحنا في الحرج وفي هذه الحالة لنفسية " [٩٨] .

ويقول الرئيس (جون كنيدي) في خطاب له في عام ١٩٦٢ " ان مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه " .

وقال " رونالد ريغان " في خطاب له عام ١٩٨٢ " ان الخوف من الاغتصاب والقتل قد خيم على معظم الأمريكيين وكل عائلة من ثلاثة أصبحت ضحية الإجرام " .

وفي عام ١٩٨٢ أصدرت إحصائية تبين عدد الجرائم في أمريكا حيث جاء فيها تقع جريمة قتل كل (٣) دقائق وكل (٦) دقائق تقع جريمة اغتصاب بالعنف وكل (٧٨) دقيقة تقع جريمة سرقة مسلحة[٩٩] .

وبالإضافة إلى جرائم غسل الأموال وجرائم الدعارة التي تستخدم فيها الأطفال والنساء بالإضافة إلى جرائم الاتجار بالرقيق من النساء والأطفال ، حيث أشارت بعض التقديرات إلى ان حجم غسيل الأموال يصل إلى ١.٥ ترليون دولار سنوياً ، أي حوالي ٨% من إجمالي التجارة العالمية[١٠٠] .

ومن مؤشرات الإرهاب الدولي ايضا تزايد النشاط الإجرامي على مستوى العالم ، وخاصة الجرائم الواقعة على الأطفال وخصوصاً في الدول الفقيرة والتي تعاني من أزمات مالية وتفشي البغاء وانتشار ما يعرف (ظاهرة أطفال الشوارع) حيث يصبح هؤلاء فريسة سهلة لممارسة الجريمة ، حيث ذكرت معلومات صادرة عن الأمم المتحدة بأنه قد تم بيع حوالي عشرين مليون طفل خلال السنوات العشرة الأخيرة بالإضافة إلى انه وحسب تقديرات منظمة اليونيسيف يتم تصدير حوالي (٩٠) ألف طفل سنوياً من دول أمريكا اللاتينية واسيا وشرق أوربا إلى الدول الغنية ،وان الدول الصناعية تستورد (٥) ملايين طفل سنوياً[١٠١] .

بالإضافة إلى ذلك تشير التقارير إلى ان بيع المخدرات والمتاجرة بها قد ازداد في الآونة الأخيرة على مستوى العالم ، وتعتبر الدول الصناعية هي اكبر مستهلك للمخدرات وخاصة الولايات المتحدة وكندا ، حيث تشير الأرقام إلى ان أموال المخدرات بلغت عام ٢٠٠٤ ألفان وخمسمائة مليار دولار أي ما يساوي مخزون العالم من الذهب[١٠٢] ، ولذا يعتبر الدول الصناعية الرأسمالية اكبر الدول معاناة من الجريمة حيث ازدياد معدلات البطالة ووجود فوارق طبقية في المجتمع الواحد وشعور الكثير من الناس بالغبن والظلم ، وفي

أطراف أخرى من العالم نجد ان سبب الجريمة المباشرة هو الفقر والحرمان مقارنة مع الأطراف الأخرى الغنية والثرية مما ولد حقداً من الفئة المحرومة تجاه الفئة الغنية الثرية فأنتج ذلك جريمة وزاد من حدتها مما استنزف كثيرا من الطاقات والأموال من اجل تحقيق هذه الظاهرة ، فمثلاً في ولاية كاليفورنيا ينفق على السجون أكثر مما ينفق على التعليم[١٠٣] .

وعليه لقد أصبح الإرهاب الدولي اليوم واقعاً ملموساً وشيئاً محسوساً لا يستطيع احد إنكاره والتعاطي عنه او التغاضي عن نتائجه ، فهو حرب شعواء عمياء لم تشهد لها البشرية مثيلاً ، أكلت الأخضر واليابس وحصدت الأرواح البريئة وشتت شمل العائلات الآمنة المطمئنة ودمرت نظم الحياة الاجتماعية وحطمت رتابة الحياة الاقتصادية وعصفت بالأنماط السياسية وأبادت مظاهر الحياة الثقافية فهو كالإخطبوط الذي يملك مائة ذراع بنشر هنا وهناك ويصيب بها من يشاء وفي أي وقت يشاء .

لذا لقد بلغ الإرهاب اليوم حداً لا يمكن معه بقاء البشرية واقفة مكتوفة الأيدي، لأن ناره بدأت تكوي جميع الدول والشعوب حتى المحايدة منها. لأنها أصبحت ظاهرة شديدة الخطورة تهدد الأمن والاستقرار الداخلي للدول وتعوق خطط التنمية بشتى أنواعها فيها ، كما تهدد السلم والأمن الدوليين وتنال من العلاقات الدولية ويصبها بالخلل .[١٠٤]

وخلاصة القول يعد الإرهاب جريمة من أبشع جرائم هذا العصر وأكثرها وحشية ويقوم على تدمير الممتلكات العامة والخاصة وترويع الآمنين وتقويض المكتسبات الحضارية في كثير بلدان العالم ، كما يهدد الإرهاب الدولي السلام العالمي ، والأمن الإقليمي للأمم ومصالحها الحيوية ، وهي ظاهرة لها تفسيراتها لدى كل دولة او مجتمع .

الاستنتاجات والمقترحات

أولاً : أهم استنتاجات البحث.

١. إن الإرهاب يعد ظاهرة مجتمعية عالمية وتاريخية سادت الحضارات المختلفة، وبصور وأشكال متعددة متنوعة وذلك لاختلاف الأهداف والأيديولوجيات المتعلقة ببنية هذه الظاهرة وتطور وسائلها وأساليبها مع تطور الحياة الإنسانية واختلاف نظمها .
٢. إن الإرهاب ظاهرة مرفوضة من قبل المجتمع الإنساني كافة لأن فيه تدميرا للتراث الإنساني وتعطيلا لمسيرة الحياة، ويهدف إلى إثارة الرعب والخوف والقلق لدى الأفراد والجماعات والدول وذلك حسب الهدف والغاية من العملية الإرهابية .
٣. عدم وجود إجماع دولي في إيجاد تعريف محدد جامع مانع شامل وواضح للإرهاب بل إن هناك حالة من الضبابية تلف عملية البحث في موضوع تعريف الإرهاب وذلك لأسباب عديدة منها ما يعود إلى إشكالية نظرية ومنهجية تتصل بطبيعة بنية الظاهرة الإرهابية .
٤. الإرهاب مفهوم نسبي مثله مثل اغلب المفاهيم التي تتعلق بالحياة الاجتماعية لذا فهو في حالة حركية مستمرة بسبب اختلاف أساليبه وأنواعه وأشكاله مع اختلاف الزمان وتطور العلوم والمعارف الإنسانية واختلاف أنماط الحياة من مجتمع إلى آخر.
٥. لقد لعبت السياسات الاستعمارية الظالمة التي عاشتها البشرية وعانت منها الشعوب المستضعفة في فترة من الفترات دورا كبير في توفير البيئة المناسبة لنمو بذور الإرهاب ، كما تلعب الآن الأصوات الأولية

وتغير أشكال النظام الدولي دورا كبيرا في إنتاج الإرهاب وزيادة وتيرته ولا أدل على ذلك من تسارع وتيرته الإرهاب في فترة ما بعد النظام العالمي الجديد .

٦. يبرز الإرهاب اليوم قوة عظمى في النظام العالمي الجديد ولاعبا رئيسا في العلاقات الدولية مما ينبئ بـ (حرب ساخنة) قد يطول مداها ويكون وقودها المزيد من الدمار والهلاك والخسائر المادية والبشرية.

٧. للإرهاب تأثير سلبي كبير على حقوق الإنسان حيث تستغل كثير من الدول والحكومات قضية حقوق الإنسان لمحاربة الإرهاب والعكس صحيح حيث تستغل الإرهاب بقصد المحافظة على حقوق الإنسان مما انعكس سلباً بالنهاية على الإنسان وحقوقه .

إن الإجراءات الأمنية العسكرية وحدها لا يمكن أن تخفف الإرهاب بل يجب البحث عن الأسباب المهيأة للإرهاب ومنابعها والعمل على تجفيف هذه المنابع والتي من أبرزها توفير العدالة الاجتماعية والديمقراطية الحقيقية للشعوب لأن الإرهاب يتناسب عكسياً مع العدالة وعلى كافة المستويات .

ثانياً : المقترحات والحلول

١. بذل الجهود الدولية والإقليمية وصولاً إلى وضع تعريف محدد جامع مانع للإرهاب وفق معايير أخلاقية ودينية وقانونية لا تتعارض مع القيم الدينية والأخلاقية لشعوب الأرض ، يتم بناء عليها التمييز بين من هو الإرهابي ومن هو المناضل .

٢. يجب أن تسعى الدول الكبرى ذات النفوذ في السياسة الدولية إلى تحقيق أهداف الأمم المتحدة في حفظ الأمن والسلم الدوليتين بدلاً من إشعال الحروب هنا وهناك ، وكذلك من خلال زيادة التعاون الأمني المتبادل فيما بينها ، وكذلك إنشاء محاكم خاصة تشدد العقوبات على من يمارس الإرهاب وترويع الآمنين

٣. رفع الظلم عن الشعوب وإعطاؤها الحق في اختيار النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تراه مناسباً وتعزيز منظومة حقوق الإنسان فيها بطريقة صحيحة ومنطقية.

٤. تقليل الهوة بين الحضارات المختلفة وتعزيز قيم التسامح والحوار والتعايش السلمي بين بني البشر ونبذ كل ما يدعو إلى الصدام والصراع الحضاري وخاصة إن أصل الحضارات الإنسانية ومصدرها واحد .

٥. زيادة التواصل العلمي والفكري والحضاري بين الشرق والغرب من خلال تبادل الزيارات العلمية والوفود المختلفة التي تضم عناصر من المفكرين والباحثين والطلاب ورجال السياسة والدين ... الخ ليقوم كل طرف بالتعرف على حضارة وثقافة وديانة الطرف الآخر وتقليص التناقض الذي يزداد يوماً بعد يوم بين الشرق الإسلامي تحديداً وبين الغرب .

٦. على الدول العربية والإسلامية ان تبذل قصارى جهدها مستغلة الإمكانيات الإعلامية العالمية في تعريف العالم اجمع بأن الدين الإسلامي دين يدعو إلى الرحمة والتسامح والمودة والاعتدال والوسطية واحترام الآخر وينهي عن القتل والتدمير والتخريب والأذى ، ومن اكبر الأدلة على ذلك التاريخ المشرف المشرق للمسلمين أثناء الفتوحات الإسلامية للشرق والغرب حيث كانوا خير امة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

الهوامش والمصادر

* القران الكريم

١-سورة المائدة، أيه ٣٢

٢-د.نبيل حلمي، الإرهاب الدولي وفقا لقواعد القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٨٨، ص٢٧

٣- د.محمد عبد المطلب ، تعريف الإرهاب الدولي بين الاعتبارات السياسية والاعتبارات الموضوعية ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية ،مصر، ٢٠٠٧،ص٣٧.

٤-هايل عبد المولى ، الإرهاب حقيقته -معناه، دار الكندي للنشر والتوزيع، أريد، الأردن ، ٢٠٠٨،ص٢٠

٥-د. احمد هلال الدين ، الإرهاب والعنف السياسي، دار الحرية، القاهرة ،١٩٨٩ ص٢٢.

٦-د.قحطان الدوري،الدين والإرهاب ، منشورات منظمة المؤتمرالاسلامي الشعبية . بحوث فكرية للسنة الثالثة، لكلية الشريعة ، بغداد ،١٩٨٨ ،ص

٧- ابن منظور، لسان العربي، ط٢، دار المعارف، ص٤٨ ١٧ .

٨-المنجد في اللغة والإعلام ، دار المشرق، ١٩٨٤، ص ٨٢

٩-أساس البلاغة، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩،ص١٨١.

١٠-د.رشدي عليان، الدين والإرهاب، منشورات منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبية ، بحوث فكرية للسنة الثالثة،لكلية الشريعة، بغداد، ١٩٨٨،ص

١١- د. عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، الإنسا ق الاجتماعية ودورها في مقاومة الإرهاب والتطرف ، مركز الدراسة والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ،ط١، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦،ص١٢-١٣.

١٢- سورة الأعراف، أيه ١٠٤

١٣سورة النمل ، ٥١

١٤سورة الأنفال ، ايه١١٦

١٥- سورة الأعراف،اية١١٦

١٦- سورة الحشر،ايه١٣

١٧-سورة الأنبياء، ٩

١٨-د.محمد عبد المطلب، مصدر سابق، ص٤١.

١٩هايل عبد المولى ، مصدر سابق ،ص٢٥.

20-x ford, Advanced learner's Dictionary of current English, 1976.

٢١- د. محمد عاطف غيث ،قاموس العلوم الاجتماعية،دار المعارف الجامعية،الاسكندرية،مصر،١٩٨٩،ص.

٢٢-د. احمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية،مكتبة لبنان،القاهرة،١٩٧٥،ص٤٢٣

٢٣-احمد عطية الله، القاموس السياسي ، ط ١، دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٦٨ ص٤٥

٢٤-عبد الوهاب الكيلان، موسوعة السياسة، ج١،ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٤.

٢٥ عطية الله ، القاموس السياسي، ، مصدر سابق، ص٤٥

٢٦-د.محمد عبد المطلب الخشن، مصدر سابق، ص٤٨.

٢٧-ص١.١ محمد عبد المطلب
٢٨- د.احمد فلاح العموش ،مستقبل الإرهاب في القرن الحادي والعشرون ،مركز دراسات والبحوث،جامعة نائف العربية للعلوم الامنية،رياض،مملكة العربية السعودية،٢٠٠٦،ص١٩ .
٢٩- عبد الرحمن المرغني، قراءة لمفهوم الإرهاب في ظل المغالطات والتنقظات الدولية، مجلة دراسات، العدد١٨، ٢٠٠٤،ص١٦.
٣٠-علي بن فايز ، الإرهاب الفهم المفروض للإرهاب المرفوض ، اكادمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ٢٠٠١ ،ص٢٠
٣١ –سهيل حسين الفتلاوي،مقهوم الارهاب وتعريفه وقرارات مجلس الامن بخصوص احداث(١١)ايلول،المجلة القطرية للعلوم السياسية ،تصدر عن كلية العلوم السياسية،جامعة بغداد،السنة الثانية،العدد/٢، ٢٠٠٢،ص٤٣.
٣٢- د. محمد عبد المطلب الخشن ، مصدر سابق ، ص٥
٣٣- الإرهاب الدولي بين الواقع والتشويه ، دراسة أعدها المركز العربي للنشر والتوزيع والدراسات، منشورات المركز،ط١،باريس، ١٩٨٢، ص٢١.
٣٤- المصدر نفسه،ص٩
٣٥- د. محمد عبد المطلب ، مصدر سابق ، ص٥
٣٦د.محمد عبد اللطيف عبد العال ، جريمة الإرهاب ،دراسة مقارنة، دار النهضة العربية ، القاهرة،١٩٩٤، ص٢٢
٣٧عامر رشيد، موسوعة الثقافة السياسية والاجتماعية والاقتصادية العسكرية -مصطلحات مفاهيم ،ط١، دار القلم العربي ، حلب ، سوريا ،٢٠٠٣،ص٣٦ .
٣٨-د.محمود سلام، موجز تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، مطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٥.ص٢٨.
٣٩- د.عبد الوهاب حومد، الإجرام السياسي، دار المعارض، لبنان، ١٩٦٣،ص١٣.
٤٠-إبراهيم نافع ، كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة، مركز الإحرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٩
٤١-عثمان علي حسين ، الإرهاب الدولي القانونية والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام، ط١، مطبع منارة، اربيل، العراق، ٢٠٠٦،ص٢٣.
٤٢-حسين شريف، الإرهاب الدولي وانعكاساته في الشرق الأوسط ، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٦٩٧،ص٦٧
٤٣-جعفر عبد المهدي صاحب، الإرهاب الدولي واشكالية التعريف وتجليا ت الواقع، مجلة دراسات، العدد١٨، ٢٠٠٤،ص٢٧.
٤٤-د. حسين شريف، مصدر سابق، ص٢١٥.
٤٥-عثمان علي حسين، مصدر سابق،ص٢٩
٤٦حسين شريف ، مصدر سابق ،٢١٥.
٤٧-هايل عبد المولى، الإرهاب حقيقته ومعناه، ط١، دار الكندي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨،ص٧٩.
٤٨-مختار شعيب، الإرهاب ضاعة عالمية، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠٤، ص٣٣.

٤٩- د. محمد عبد المطلب، مصدر سابق، ص٩.
٥٠- د.احمد فلاح العموش،مصدر سابق،ص
٥١-المصدر نفسه
٥٢-المصدر نفسه
٥٣- Richard c. fuller and Richard Myers, the natural History of social problem, American sociological, Review,6
٥٤- د.احمد فلاح العموش،مصدر سابق،ص
٥٥-george Ritzer,socialproblems, N.Y Random House, 1986
٥٦Robert merton, social theory and social structure ,N.Y, The free- press,1966
٥٧- Ruth Wallace and Alison wolf ,contemporary sociological theory ,N.J.,Englewood cliffs,1992.
٥٨- Richard c. fuller and Richard Myers ,op,cit.
٥٩- د.احمد فلاح العموش،مصدر سابق،ص
٦٠ – Ian R itze ,social problems , N.Y.Random House,1986
٦١-قيس ألنوري،وعبد المنعم الحسني،النظريات الاجتماعية، جامعة الموصل،الموصل، العراق،.١٩٨٥.
٦٢- د.احمد فلاح العموش،مصدر سابق،ص
٦٣-Jerome Mains, Analyzing social problem,N.Y.,Paeger,publishers,1976
٦٤-
HabermasTheTheory of communicative Action ,vo1 .1,Boston,Beacon press,1984.
٦٥- Ibid
٦٦-علي يوسف ألشكري، الإرهاب الدولي،ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،٢٠٠٨، ص٩٥.
٦٧- المصدر نفسه، ص٦٠-٦١.
٦٨- المصدر نفسه، ص-٥١٤٩.
٦٩ المصدر نفسه، ص ٥٢-٥٣.
٧٠-.فكرت نامق عبد الفتاح،الإرهاب في السلوك السياسي الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية-دراسة سياسية/قانونية،مجلة ام المعارك،مركز أبحاث المعارك،بغداد،١٩٩٥،ص٣٧
٧١- علي يوسف، المصدر سابق، ص٥٣.
٧٢- المصدر نفسه، ص٥٣-٥٤
٧٣-د.جعفر عبد السلام، الإرهاب القانوني للنظام الاقتصادي الدولي، دار للطباعة والنشر، جدة، السعودية، ١٩٧٧،ص٢٨.
٧٤- المصدر نفسه،ص٢٩.
٧٥-حقائق أساسية عن أمم المتحدة، ادات الأعلام العام والأمم المتحدة، نبورك\١٩٨٠، النسخة العربية منشورات دار الشعبي، القاهرة،١٩٨٨،ص٩٣-٩٤.
٧٦- علي يوسف شكري ، مصدر سابق،ص٥٩
٧٧-المصدر نفسه، ص٥٧-٥٨

٧٨- إبراهيم نافع ، مصدر سابق، ص٧٨-٧٩.

٧٩- د. شيرزاد احمد النجار، إشكالية فهم النظام العالمي الجديد، مجلة كولان العربية، العدد١٤٣، قانون الأول، اربيل،١٩٩٩،ص٣٤.

٨٠- عثمان علي حسن ، مصدر سابق، ص٤٩.

٨١-هايل عبد المولى، مصدر سابق،ص١٣٥.

٨٢- المصدر نفسه،ص١٣٦

٨٣- سهي سعيد محمد العزاوي ، العنف والإرهاب ، دراسة تحليلية في الأطروحات الغربية والعربية الإسلامية، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية ،٢٠٠٦،ص٤٣.

٨٤-عثمان علي حسن،مصدر سابق ،ص١٣

٨٥- المصدر نفسه،ص١٤

٨٦-إبراهيم نافع،مصدر سابق،ص٢٠-٢١

٨٧-المصدر نفسه،ص٢١

٨٨--علي يوسف الشكري،مصدر سابق ص ٣٤،

٨٩ ، المصدر نفسةص١١٩

٩٠-د.ويصا صالح،العدوان المسلح في القانون الدولي،اطروحة دكتورة،كلية الحقوق ،جامعة القاهرة، ١٩٧٥،ص٣١٣

٩١-هايل عبد المولى،مصدر سابق،ص٢٤٠

٩٢- المصدر نفسه،ص٢٤١-٢٤٢

٩٣-المصدر نفسه،ص٢٣٥

٩٤-عمر الاشقر،مصدر سابق،١٧٢

٩٥-هايل عبدالمولى،مصدر سابق،ص١٦٧

٩٦-المصدر نفسه،ص١٠٦-١٠٧

٩٧-المصدرنفسه،١٠٥-١٠٨

٩٨-المصدر نفسه،ص١٠٩

٩٩-عمر الاشقر،مصدر سلبق،ص١٩٠

١٠٠-المصدر نفسه،ص١٩٠-١٩٤

١٠١-ممدوح منصور محمود،ص١٠٤-١٠٥

١٠٢-المصدر نفسه،ص١٠٤

١٠٣-هايل عبدالمولى،مصدر سابق،ص١٢٠-١٢١

١٠٤-ممدوح منصور،مصدر سابق،ص١٠٣